جامعة عمار ثليجي الأغواط
ميدان العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الانسانية
شعبة التاريخ

الموضوع:

الحياة السياسية والادارية في الدولة الرستمية 160هـ-296هـ

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماسترفي التاريخ
تخصص: تاريخ وسيط

إعداد الطالبتين:
قندور سميحة
خارف مريم

إشـــــــراف :
رمضاني فوزي

السنة الجامعية:2017/2016

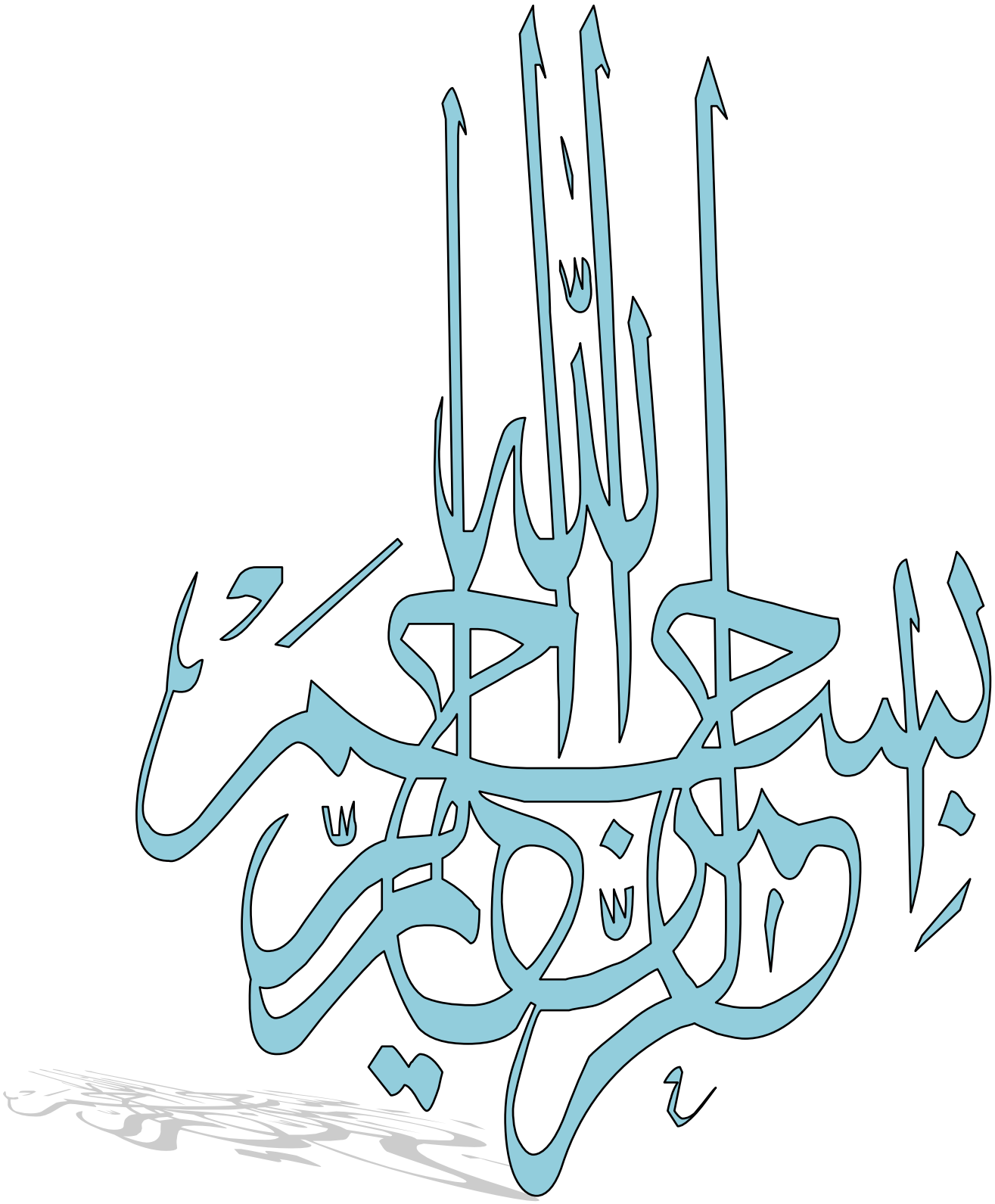

كلمة شكر

بسم الله الرحمن الرحيم "رب أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين" النمل19 ،فالحمد والشكر لله الذي جعل بعد كل عسر يسرا وبعد كل ضيق فرج كما اتقدم بجزيل الشكر والعرفان وعظيم الامتنان إلى كل من ساهم في توجيهنا وارشادنا ومساعدتنا وأخص بالذكر الأستاذ المشرف فوزي رمضاني جزاه الله وثبت خطاه الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة من أجل اخراج هذا العمل في أبهى مضمون وشكل ، كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل الاساتدة الذين ساهموا في تكويني اثناء مرحلة الجامعة والثانوي والمتوسط والإبتدائي وإلى لجنة المناقشة التي صبرت على قراءة عملنا هذا وتقويمه.

والى كل من اسهم في هذا العمل سوءا من بعيد أو قريب ،وشكر خاص لمن أعاننا في إنجاز هذا العمل والى كل من لقننا درسا وعلمنا حرفا ،

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى من كان سبب وجودي

في هذه الحياة

وقال فيهما رب السموات والأرض

"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن

عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما

جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا" .

إلى من غاب عيني ولم يغب عن قلبي إلى حبيبي أبي رحمه الله ورعاه .

إلى حياتي وملكة قلبي أمي أمي أمي أدامك الله تاجا على رأسي ونورا

لحياتي وظلمة أيامي إلى *فاطنة بن دندون ومحمد قندور*

إلى جميع إخوتي

إلى جميع أحبائي

سميـــحـــة

إهداء

بعد التحية والسلام أقدم ثمرة جهدي:

إلى الرجل الشهم و المثالي رمز الدفء و الحنان المتجدد إليك سيدي كل الحب و التقدير أبي حبيبي حفظك الله

إلى من يخجل العطاء من عطائها و يعجز الثناء عن ثنائها و يذهب العناء بلقائها إلى من أعطت بلا حدود إلي جنتي أمي الغالية حفظها الله

الى شمعات بيتنا أخواتي الحبيبات ،،،الى عمود بيتنا اخويا العزيز الى جدتي الغالية ،،،الى اخوالي وخالاتي واعمامي وعماتي وزوجة عمي الى بنات عمي ابناء عمي ابناء خالتي بنات خالتي الى عائلتي الثانية في الحي الجامعي صديقاتي الغاليات حفظهن الله ورعاهن

الى زميلتي في هدا العمل قندور سميحة

الى كل من وسعهم قلبي ولم تسعهم مدكرتي

مريـــــــم

مقدمة

مقدمة:

شهد العالم الاسلامي خلال القرن الأول الهجري السابع الميلادي ، ظهور الخوارج إثر موقعة صفين التي جرت بين معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ،فكان لهذه الواقعة أثر على بلاد المشرق الإسلامي ،وهذا ما أدى إلى ظهور الإضطرابات والثورات ،من هنا إضطر الخوارج للحفاظ على مذهبهم للجوء إلى أطراف الدولة الإسلامية منها بلاد المغرب الإسلامي ، وكان من بين تلك الفرق التي ظهرت في المغرب فرقتا:الصفرية في جنوب المغرب الأقصى و الإباضية في المغرب الأوسط.

وجدت الإباضية في المغرب الأوسط سهولة في نشر مبادئها نتيجة للظروف المضطربة والتي تمثلت أساسا في السياسية السلبية والتعسفية لولاة بني أمية على سكان المغرب ، ومن هنا وجد البربر متنفسهم الوحيد في إعتناق هذه المبادئ ،والإلتفاف حول الإباضية،وفي غمرة هذا التراع القائم مع الخلافة في المشرق تراجعت جماعات الصفرية لتترك المجال فسيحا للفرقة الثانية ،فكانت جهود هذه الاخيرة ممهداة لبناء دولة في المغرب الإسلامي،فبدوا في الدعوة إلى مذهبهم،و إنتقلت إلى حيز التطبيق العملي تمهيدا لقيام أول دولة في المغرب الأوسط (160هـ /296ه)،(776م /908م)بقيادة عبد الرحمان بن رستم داعيتها وأول أئمتها متخذة من المغرب الأوسط دولة لها وتيهرت عاصمة لها، ومن هنا جاء إختيارنا للبحث في هذا الموضوع : **الحياة السياسية والادارية في الدولة الرستمية.**

دوافع إختيارالموضوع

بناءا على هده الأسس تم إختيارنا لهذا الموضوع بدافع الرغبة في معرفة الحياة السياسية والإدارية على عهد الرستميين ولنتمكن من الإلمام ببعض عقائد المذهب الإباضي ، ولمعرفة كيف تمكن دعاة الإباضية من تأسيس دولة على مذهبهم،وما هي أهم النظم التي إتبعوها في تسيير شؤون دولتهم،وبماذا إمتازت علاقاتها مع جيرانها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الموضوع في أنه يعالج ويكشف جانبا حضاريا مهما من تاريخ الدولة الرستمية وهو الجانب الساسي والإداري.

الدراسات السابقة:

وقد أفادتنا بعض الدراسات السابقة التي ساعدتنا وامدتنا ببعض المعلومات إلا أن هده الدراسات كانت دراسات عامة ونحن دراستنا متخصصة في الحياة السياسية والإدارية في الدولة الرستمية .

وفي دراستنا لهدا الموضوع إعتمدنا على بعض الدراسات السابقة مثل مذكرة الحياة الحضارية في الجزائر الرستمية 160هـ ـ296ه/777م ـ909م وأيضا مذكرة نظم الدولة الرستمية(دراسة لنظم الحكم والإدارة والنظام المالي والقضائي(160هـ296ه/776مـ908م).

المنهج المتبع

إرتكزنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج الوصفي الذي وظفناه في رصد الأحداث التاريخية مع ترتيبها بالإضافة إلى المنهج التحليلي النقدي لتحليل المعطيات التاريخية الواردة في المصادر ،وهو ضروري في مثل هذه الدراسات.

الإشكالية المطروحة

ولدراسة هذا الموضوع المعنون الحياة السياسية و الإدارية في الدولة الرستمية طرحنا الاشكالية التالية :**كيف كان نظام الحكم والإدارة في الدولة الرستمية ؟**.

ويندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية تساؤلات فرعية تتمثل في:

ماهي العوامل التي ساعدت الرسميين على إقامة دلتهم؟.

ماهي أهم النظم الإدارية؟

بماذا تميزت علاقاتها الخارجية وهل كان لها تأثير على سيرورة الدولة الرستمية؟.

خطة البحث:

للإجابة على الإشكالية المطروحة ةتحقيقا للأهداف المرجوة من البحث إرتأينا تتبع خطة عمل مكونة من ثلاثة فصول رئيسية .

فقسمنا موضوع بحثنا وفق خطة علمية بين مقدمة عرفنا فيها بأهمية الموضوع واهم الدراسات والدوافع وإشكالية والمنهج المتبع وأهم المصادر والمراجع التي إعتمدنا عليها.

وقسمنا موضوع بحثنا هذا الى ثلاثة فصول. الفصل الأول الذي عنوناه بالمذهب الإباضي وقيام الدولة وتضمن مبحثين المبحث الأول تعريف المذهب الإباضي ونشأته وبعض عقائده والمبحث الثاني قيام الدولة الرستميةاما في الفصل الثاني الذي كان تحت عنوان نظم السياسية والإدارية المتكونة من ثلاثة مباحث المبحث الأول نظام الحكم والمبحث الثاني النظم الإدارية والمبحث الثالث الأئمة الرستميين أما الفصل الثالث فكان العلاقات الخارجية لدولة الرستمية المتجزأ من مبحثين:المبحث الأول العلاقات العدائية أما المبحث الثاني تحث إسم العلاقات الودية.

ثم ختمنا موضوعنا بخاتمة تناولنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

نقد المصادر والمراجع:

ومن أهم المصادر والمراجع التي إستعنا بها في مذكرتنا هي المصدر لأحد معاصري الدولة الرستمية هو إبن الصغير المالكي في كتابه "أخبار الأئمة الرستميين "الذي حققه دكتورمحمد ناصر والأستاذ ابراهيم بحاز فنجده يبدأ بإمامة عبد الرحمان بن رستم الفارسي لم يتعرض لذكر إمامة أبي اليقظان والمصدر الثاني الذي إعتمدت عليه هو كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكرياء يحي

الورجلاني توفي 471ه وحققه الدكتور إسماعيل العربي ويغير هذا المصدر من أهم المصادر التي كتبت عن الدولة الرستمية وأئمتها حيث يذكر فيه كل الأحداث التي جرت أنداك .

كما إعتمدت على مصدرهم في هذه الدراسة هو طبقات المشايخ بالمغرب لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني المتوفي حوالي 670ه،وقام بتحقيقه إبراهيم محمد طلاي وجاء في هذا المؤلف المراحل الأولى لإنتشار الإباضية ودعاتها الذين وفدو من المشرق لنشر الدعوى والمبادئ الخارجية وإعتمدت أيضا على كتاب "السير "لابي العباس أحمد بن سعيد الشماخي توفي 329 ه وجاء في هدا المصدر كل ماجاء في المصادر السابقة الذكر وإعتمدنا على المصادر أخرى ككتاب "العبر وديوان المبتدأوالخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"إضافة إلى هذه المصادر إعتمدنا على كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"لإبن عذارى المراكشي المتوفي في نهاية القرن السابع الهجري وكتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية لمؤلفه سليمان الباروني .

وإضافة إلى تلك المصادر القيمة كانت هناك مراجع متنوعة من بينها :كتاب "الدولة الرستمية (160هـ ــ 296ه/777م ــ 909م)دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية" لمؤلفه الدكتور إبراهيم بحاز بكير والذي يتحدث فيه تقريبا عن كل الجوانب الخاصة بالدولة الرستمية وكان هذا المرجع من أهم المراجع التي إعتمدنا عليه في إنجاز هذا البحث ،ويوجد كتاب أخر يتحدث عن الدولة الرستمية بعنوان "الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9م ــ 10م) للدكتور جودت عبد الكريم يوسف وهو الأخر يعتبر مرجعا مهما لهذا النوع من الدراسات .

إضافة إلى كتاب عيسى الحريري "الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160ه /ــ 297م "وكتاب عبد الرحمان الجيلالي "تاريخ الجزائر العام"وكتاب محمد علي دبوز "تاريخ المغرب الكبير "ومرجع أخر علي يحي معمر" الإباضية في موكب التاريخ "وغيرها من المراجع ومؤلفات التي تحدثت عن تاريخ هذه الدولة المستقلة بالمغرب الأوسط.

ومن خلال إنجاز لهذا البحث إعترضنا بعض الصعوبات الوصول إلى بعض المصادر الإباضية ونقص الإمكانيات في الحصول على المخطوطات الخاصة بهذه الدولة.

وفي الأخير لا يسعنا إلأ أن نتقدم بجزيل الشكر لكل من ساهم من قريبأوبعيد في إنجاز هذا العمل وعلى رأسهم لأستاذ المشرف:فوزي رمضاني وعمال مكتبة غرداية ومكتبة البشير الإبراهيمي وإلى الأستاذ الدكتور:إبراهيم بحاز وكل أساتدة قسم التاريخ.

الفصل الأول

المذهب الإباضي وقيام الدولة

- تعريف المذهب الإباضي ونشأته وبعض عقائده.

- قيام الدولة الرستمية

تكونت المذاهب الإسلامية تكونا تدريجيا ،في أزمنة متباعدة حسب تولد الأفكار والآراء وحسب وقوع الحوادث وإذا أردنا أن نؤرخ للمذاهب الإسلامية فإن المذهب الإباضي يكون من أوائلها نشوءا فقد رأت في منطقة طرابلس وجبل نفوسة أن الوقت حان ليكون لهم دولة مستقلة قائمة على المذهب الإباضي .فما هو المذهب الإباضي ؟ وكيف قامت الدولة الرستمية ؟

المبحث الأول: تعريف المذهب الإباضي ونشأته وبعض عقائده.

عرف التاريخ الإسلامي ظهور عدد من المذاهب، كان من أبرزها المذهب الإباضي

فما هو المذهب الإباضي؟ متى ظهر؟ وما أبرز عقائده؟

أولا: تعريف المذهب الإباضي.

الإباضية مذهب من المذاهب الإسلامية المعتدلة [1] و الإباضية أو الأباضية أقدم الفرق الإسلامية التي تعود في نشأتها الى النصف الأول من القرن الهجري الأول، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى عبدالله بن اباض أحد فقهائها الأولين نسبة غير قياسية لأن عبد الله بن اباض كان من شجعناهم والمناظر باسمهم، ومما يثبت ذلك مراسلاته إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان [2] ورفضه آراء المجموعات المعارضة من القدرية، المعتزلة والشيعة والخوارج المتطرفين[3].

و من ثم فإن تسمية المذهب الإباضية لا تعني أن عبد الله بن إباض الزعيم الروحي للمذهب لأنه كان يصدر في كل أقواله وأفعاله عن جابر بن زيد الإمام الروحي وفقيه الإباضية، ويرى محمد دبوز أن الأمويين هم الذين أطلقوا تسمية الإباضية عليهم، والدليل على ذلك أن أتباع الفرقة لم يطلقوا على أنفسهم هذا الاسم في تلك المرحلة، وكانوا يصفون أنفسهم بأهل الدعوة وأهل الاستقامة.

و يبدو أن هذه التسميات التي اختارها الإباضية مقصودة الهدف منها تمييز مجموعة خاصة انبثقت من جماعة المحكمة التي تتفق مع الإباضية حول الموقف السياسي الرافض للتحكيم، و

1- علي يحي معمر، الإباضية مذهب إسلامي معتدل ط3 المطبعة العربية، غرداية، 1994م، ص9.

2-عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ط3، الجامعة الأردنية، الأردن 1415 1994 ص9.

3- عدون جهلان، الفكر السياسي عند الاباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، مكتبة الضامري للنشر ولتوزيع – سلطنة عمان، ص22.

الإباضية ليسوا من غلاة الخوارج لكنهم يتفقون معهم في مسائل عديدة منها: القول بخلق القرآن، تعطيل الصفات الله وتجويز الخروج عن أئمة الجور...

و عن المذهب الإباضي يقول ابن حزم[1]: " هو أقرب إلى أهل السنة من بقية الفرق الأخرى" ، و يقول على يحي معمر: " المذهب الإباضي ليس مذهبا سريا، وليست أصوله التي ينبني عليها خافية أو مجهولة و ليس أتباعه ممن يستترون أو يختفون فهم لا يقيمون لغير الله وزنا في هذا الوجود، و لا ينظرون عن أعمالهم جزءا من غير الله و لا يتتبعون في تصرفاتهم غير الحق".

و قد اعتبر صاحب كتاب "إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء" المذهب الإباضي أول المذاهب المعتدلة الصحيحة، أول مذهب ثبت على الأصول الثابتة ناشئا، وأقربها إلى عصر النبوة، فهو يعتمد على المصادر التالية: القرآن الكريم، الإجماع، السنة النبوية و يستند في معرفة السنة على مسند " الربيع بن حبيب" وأحاديث مروية عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن الصحابة رضوان الله عنهم[2].

و للمذهب الإباضي كتبه المعتمدة في الفقه والعقائد من أشهرها: ديوان الشيخ جابر بن زيد وكتاب الزكاة لأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وكتاب شامل الفرع والأصل للشيخ محمد بن يوسف أطفيش، وكتاب أصول الدين للشيخ منياء الدين عبد العزيز الثميني و كتاب تفسير القرآن للإمام عبد الرحمان بن رستم، ومسند الربيع بن حبيب ...

و يشمل اسم الإباضية مجموعة إسلامية تشكل عددا من الأوساط المستقلة التي لا تزال تتمسك بتعاليمها بقوة، وأكبر هذه المجموعات تعيش حاليا في عمان في جنوبي شرقي شبه الجزيرة العربية، ثم إن هناك أقليات أخرى في زنجبار مقابل شاطئ افريقية الشرقي، وفي جبل نفوسة وزوارة في ليبيا، وفي جزيرة جربة في تونس، وفي وادي ميزاب بالجزائر[3].

[1]–ابن حزم علي بن سعيد ،الاحكام في اصول الاحكام ،ج4،اشراحمد محمد شاكر ،القاهرة ،مطبعة العاصمة ،د.تا،ص312

[2]–أحمد الياس ،الإباضية في المغرب العربي ،مكتبة الضامري ،سلطنة عمان ،ص7

[3]–علي يحي معمر ، مرجع السابق ، ص5

ثانيا: نشأة المذهب الإباضي وبعض عقائده.

عندما وقع الخلاف بين الصحابة، وانقسم المسلمون إلى فئتين: علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأتباعه من جهة، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وأنصاره من جهة أخرى، انتهى خلافهما إلى معركة صفين سنة 36هـ. والتي ترتب عنها ما يعرف في التاريخ بحادثة التحكيم[1]، التي أبقت الخلاف في جيش علي وفرقت بينه وبين عناصر منه، ومن أولئك فرقة المحكمة التي اعتزلت عليا وخرجت عنه بعد ما كانت معه، كما بقيت في عدائها لمعاوية وأتباعه من الشاميين خاصة.

إن المحكمة لما استقلوا برأيهم في قضية التحكيم، والإمامة وقالوا "لا حكم إلا لله"[2] ولوا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي إماما، ثم قتل وعدد كبير من أصحابه في معركة النهروان المشهورة سنة 38هـ، قضى عليهم علي بن أبي طالب. واستمرت حركتهم هكذا متماسكة وبقيادة واحدة، حتى وقع الخلاف بينهم حول مسألة الخروج لمحاربة السلطة الأموية المناهضة لهم حيث أن فريقا منهم رأى الخروج واجبا، بينما الفريق الآخر التزم القعود واعتبر الخروج لا يحل لأن المخالفين لهم بريئون من الشرك[3] وبالتالي لا تجوز مقاتلتهم. وكان عبد الله بن إباض[4] هو صاحب هذا الرأي الأخير الذي رد به على تطرف نافع بن الازرق ومن رأى رأيه.

1- طه حسين، الفتنة الكبرى ، دار المعارف، القاهرة، 1956م، ج2، ص91.

2- لذلك سموا في أول الأمر بالمحكمة ثم أطلق عليهم الحرورية نسبة إلى حروراء، المنطقة التي اجتمعوا فيها بالعراق و سموا كذلك بالشراة أي الذين اشتروا الآخرة بالدنيا، وهذه التسميات كلها كانت قبل أن يعرفوا بالخوارج، سماهم بها خصومهم، و تقبلوها في البداية لذلك نجد شعراءهم يفتخرون بها، ثم انقلب المدح ذما لما تفرقت كتلة المحكمة إلى فرق مختلفة، غالت فرق منها و تطرفت الأزارقة و النجدات، مما يجعلنا نعتقد أن صفة الذم التصفت بالفرق المغالية من الخوارج بينما احتفظت غيرها بصفة المدح أو تسمية أخرى هي القعدة، أي القعود عن محاربة المسلمين المخالفين لهم من أتباع معاوية و غيره. عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الإباضية، دار الشعب، الأردن، 1978م، ص67.

3-المبرد أبو العباس، الكامل، دار النهضة، مصر، د ت، باب الخوارج، ص105-119، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مكتبة خياط، بيروت، د ت، ج5، ص567.

4-عبد الله بن إباض من بني مرة، نشأ في زمان معاوية بن أبي سفيان و عاش إلى زمان عبد الملك بن مروان وشيوخه عبدالله بن عباس، و أبو الشعثاء جابر بن زيد وأخذ من اهل النهروان و التابعين من أهل صفين و الجمل إضافة إلى بعض الصحابة. المبرد ابو العباس ، المرجع نفسه، بيروت1978م،ص72.

وابتداء من هذا الاختلاف الذي وقع حوالي سنة 64 هـ، انقسم المحكمة إلى متطرفين ومعتدلين، فكان في الجانب الأول الأزارقة والنجدية وفي الجانب الثاني الإباضية والصفرية[1]. وتذكر المصادر الإباضية أن عبد الله بن إباض الذي تنسب إليه الفرقة، إنما كان يصدر في أمره عن رأي جابر بن زيد[2] شيخه، الذي يعتبر عند الإباضية أصل المذهب و رأسه[3] و هو إمامهم الأول، و يأتي عبد الله بن إباض في الدرجة الثانية. وكان هو الذي يتولى مناظرة المخالفين للإباضية، بل كانت له مراسلات مع الخليفة عبد الملك بن مروان، و لم تتعد أعماله ومسؤولياته إلى أكثر من هذا، و إنما تولى المناظرة دون غيره من الإباضية، لحماية تميم قبيلته له، ولقدرته على المناظرة والمجادلة. ومن هنا كانت النسبة إليه لظهوره علنا بخلاف جابر بن زيد الذي إختار الكتمان، لمركزه العلمي أولا، ثم لكي لا تصل إليه السلطة الأموية ولا تمسه بسوء، فيخسره أصحابه، و ربما تكون نكبة على الدعوة الإباضية كلها[4].

[1]-عوض خليفات، المرجع السابق ، ص71.

[2]-أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي، ولد في خلافة عمر بن خطاب بعمان و ربما سنة21هـ، عاش بالبصرة، و بها تعلم و له الدور البارز في توجيه حركة الإباضية في طور كتمانها و بقي هو ممارسا للكتمان إلى أن توفى سنة93هـ. وكان محدثا ثقة ذكره أصحاب الحديث والرجال و استوثقوه، ويفيضون في ذكر غزارة علمه، مثلهم في ذلك مثل كتب الإباضية، إلا أن كتب الرجال تشير إلى أن جابرا لم يكن إباضيا و لا زعيما لها معتمدة بعض الروايات على لسان جابر نفسه و يبدو أن تلك الروايات إن صحت لا تمنع كون جابر إباضيا، لأنه لما سئل و أجاب عن مذهبه بأنه غير إباضي، إنما أراد من وراء ذلك عدم إفشاء سره و كتمانه، فمبدأ الكتمان يجيز له ذلك .ثم إنه لا يريد أن يفقد مركزه العلمي و الثقة التي وضعها فيه أصحاب الحديث، فهو إن أبدى شيئا من اعتقاداته تكون مطعنا عليه و عورة في علمه، و يكون بذلك مجروحا. انظر: ابن سعد، الطبقات،م7، ص130-133، ابن تيمية: رفع الملام عن الأئمة الأعلام،ط5، مؤسسة مكة للطباعة و النشر، مكة،1396هـ،ص76، ابن حجر.

[3]-الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق ابراهيم طلاي،ج2، ص205.الشماخي،السير، تح سعود سيابي، وزارة الثرات القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1992، ج1، د ط، ص 77.

[4]-عوض خليفات، المرجع السابق، ص80-82.

ومجمل القول، إن الإباضية -إلى يومنا هذا- يعتبرون جابرا إمام مذهبهم وشيخ تلميذه وخليفته في الكتمان أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[1]وهذا بدوره كان شيخ الربيع بن حبيب[2]، واضع مسند الإباضية في الحديث النبوي.

ولما توفي الإمام جابر بن زيد سنة 93هـ تقريبا، خلفه تلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، الذي عرفت الحركة الإباضية في عهده الطويل نظاما دقيقا، واستطاع أن يبث الدعاة في المشرق والمغرب. وفي عهده خرج سلمة بن سعد (سعيد) من قبله إلى المغرب، يدعو للإباضية، وفي سنة 135هـ خرجت إلى البصرة البعثة العلمية المغربية المعروفة عند الإباضية بحملة العلم[3]، و تتكون من أربعة أشخاص هم: عبد الرحمان بن رستم وعاصم السدراتي وإسماعيل بن درارالغدامسي وأبو داوود القبلي النفزاوي، و قضوا مع شيخهم أبي عبيدة خمسة أعوام تلقوا فيها علوم المذهب، في كتمان وسرية تامة، ولما هموا بالرجوع إلى وطنهم بالمغرب، انضم إليهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني، و كان قد قدم إلى البصرة في عدد من أهل اليمن حيث التقوا ببعثة أهل المغرب، وتلقوا العلم في فترة واحدة من شيخهم أبي عبيدة.

وهكذا يكون حملة العلم إلى المغرب الإسلامي خمسة، زودهم شيخهم بالمعلومات الضرورية لظهور مذهبهم، وخروجه من طور الكتمان، إن أنسوا من أنفسهم قوة، وكانت مدرسة أبي عبيدة عبارة عن سرداب سري، و كان الشيخ يعرف بالقفاف لتظاهره بصناعة القفاف أثناء إلقاء

---

[1] أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، مولى بني تميم، تولى زعامة الإباضية بعد وفاة جابر حوالي سنة 95هـ بالبصرة و بعد أن أفرج عنه من سجن الحجاج الذي توفي سنة 95هـ و كان لأبي عبيدة الدور البارز في نشر الإباضية في المغرب الإسلامي وقد عاصر عهد

[2]- الربيع بن حبيب العماني عاش في القرن الثاني الهجري و تولى إمامة الإباضية بالبصرة بعد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في ظروف غامضة لدينا، و يعتبر مسنده المعتمد الأول لدى الإباضية في الحديث وقد اعتمد الربيع في وضعه على الأحاديث التي حفظها عن أستاذه أبي عبيدة وهذا بدوره حفظها عن الإمام الثقة جابر بن زيد. لذلك فإن أحاديث المسند كلها تقريبا تروى عن الربيع عن أبي عبيدة عن جابر عن الصحابة عن الرسول(ص). الدرجيني، المرجع السابق،ج2،ص273.الشماخي، المرجع السابق، ص102.

[3]- أبو زكرياء، (يحي بي ابي بكر) سير الأئمة وأخبارهم، تح: اسماعيل العربي، الجزائر , اصدارات المكتبة الوطنية، د .ط، 1979، ص35، الدرجيني ، المرجع نفسه ،ج1،ص19،الشماخي،المرجع نفسه ، ص 123-124، دبوز (محمد علي) ، تاريخ المغرب الكبير، ج 3 , القاهرة , مطبعة عيسى البابي الحلبي , ط 1963، ص188.

دروسه السرية، و تظاهر تلامذته بتعلم الصنعة منه[1]. و لما وصلوا إلى المغرب سنة 140هـ ، يبدو أنهم وجدوا المذهب الإباضي منتشرا في المغرب الأدنى خاصة، وذلك بجهود سلمة بن سعد، الذي نجهل كل شيء عن نهايته، الأمر الذي دفعهم إلى مبايعة أبي الخطاب بالإمامة في نفس العام، و كانوا من القوة و الكثرة بحيث استطاعوا أن يدخلوا طرابلس، و يطردوا منها عاملها سنة 140هـ[2]كما سبق أن رأينا.

والحقيقة أن الصورة لا تكتمل لدينا إذا توقفنا عند هذا الحد، لهذا رأينا من الضرورة بمكان ذكر بعض معتقدات الإباضية خاصة منها التي تتعلق بموضوع هذه الدراسة وتزيده وضوحا في بعض جوانبه. والواقع أن المذهب الإباضي كغيره من المذاهب الإسلامية، لا يوجد كبير اختلاف بينه وبينها، فالمذهب الإباضي أقرب المذاهب إلى السنة، إذ قول ابن إباض، كما يقول المبرد[3]، أقرب الأقاويل إلى السنة. ونجد أن من عقائد الإباضية ما يلي:

1-الصفات الإلهية: هي عين ذات الله، نفيا لتعدد القدماء.
2-رؤية الله لا تتحقق للإنسان أبدا، في الآخرة فضلا عن الدنيا.
3-القرآن مخلوق عند قسم منها، المغاربة خاصة، و غير مخلوق عند القسم الآخر[4].
4-الخلود في الجنة والنار أبدي، لا يشقى من سعد في الآخرة أبدا ولا يسعد من شقي في الآخرة أبدا.
5-الإنسان حر في اختياره، مكتسب لعمله، ليس مجبرا عليه، ولاخالقا لفعله.
6-الإيمان قول وتصديق وعمل وليس قولا وتصديقا فقط دون عمل.
7-ولاية المطيع والبراءة من المعاصي والوقوف عند الضرورة واجب.
8-النفاق منزلة بين الشرك والإيمان ولا منزلة بين الإيمان و الكفر.
9-إذا أطلقت كلمة الكفر على الموحد فالمقصود بها كفر النعمة لا كفر الشرك.

[1] - الدرجيني، المرجع السابق، ج1، ص093
[2] - أبو زكرياء،المرجع السابق،ص 37-38، الدرجيني، المرجع نفسه، ج1، ص 22-26.
[3] -المبرد،المرجع السابق،ص119.
[4] - علي يحي معمر، المرجع السابق، ج1، ص 83-87

10- مصادر التشريع هي القرآن والسنة والرأي وهذا الأخير قد يأتي في بعض الأحيان بمعنى الاجتهاد أو الإجماع أو القياس.

11-الصحابة كلهم عدول وروايتهم مقبولة إلا في الأحاديث المتعلقة بالفتن ممن خاض في الفتن، ولا بأس أن يقال "الحق مع فلان الصحابي بدليل كذا وكذا، وأن الأولى للصحابي الفلاني ألا يفعل كذا وكذا". ولا يظلم الإباضية صحابيا.

12-الإمامة فرض، ولا تنحصر في قريش أو في عنصر بعينه. وإنما شرطها هو الكفاءة الشرعية.

13-ٱلإمامة أربعة أنواع، و تعرف عند الإباضية بمسالك الدين وهي: إمامة الظهور والدفاع والشراء والكتمان[1]

ونختم هذه المعتقدات الإباضية، بما ذكره إمام الإباضية في القرن الرابع عشر الهجري قطب الأئمة الشيخ أطفيش حيث يذكر أن الإباضية يقولون إن الحق ما نحن عليه والباطل ما عليه خصومنا، لأن الحق عند الله واحد. و مذهبنا في الفروع صواب يحتمل الخطأ و مذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصدق.

[1]- علي معمر،المرجع السابق، ج1، ص 93-96.عوض خليفات: النظم الاجتماعية و التربوية، ص 109-113.

المبحث الثاني: قيام الدولة الرستمية :

اتجه أبو الخطاب المعافري بعد مبايعته إلى طرابلس فاستولى عليها وطرد عاملها عمر بن عثمان القرشي سنة (140هـ / 757م)[1]. واتخذها مقرا له، وما إن انتهى من تنظيم شؤونها حتى وصلته أنباء الفضائع التي ترتكبها ورفجومه في القيروان فقد روى ابن الأثير " أن رجلا من الإباضية دخل القيروان لحاجة فرأى ناسا من الورفجوميين قد أخدوا امرأة قهرا والناس ينظرون فأدخلوها الجامع فترك الإباضي حاجتهوقصد أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافريفأعلمه ذلك فخرج أبو الخطاب وهو يقول: بيتك اللهم بيتك.[2]

خرج أبو الخطاب لتحرير القيروان من ربقة الصفرية، فاستولى في طريقه على قابس وترك عليها عاملا من قبله، ثم توجه نحو القيروان فالتقى بالصفرية في موضع قرب القيروان يذكر البكري أن اسمه رقادة[3]. وهناك دارت رحى معركة عنيفة أسفرت عن انهزام الصفرية و فرارهم أمام أبي الخطاب الذي دخل القيروان سنة (141هـ/ 758م)[4]،فنظم شؤونها وترك عليها شخصية من أبرز الشخصيات الإباضية من حملة العلم وهي شخصية عبد الرحمان بن رستم الذي تألق نجمه في الأفق السياسي منذ ذلك الوقت فحمل لواء الفكر السياسي في المغرب الأوسط ومناطق كثيرة من أرجاء المغرب الواسعة، ونقل هذا الفكر من مرحلة الدعوة و النظريات إلى مرحلة التطبيق والتنفيذ في إطار أكد وجوده في بلاد المغرب تحت اسم الدولة الرستمية، وبينما رشحت أحداث الإباضية شخصية عبد الرحمان بن رستم بتوليته شؤون القيروان كانت الخلافة العباسية تدلي بدلوها في توجيه تلك الأحداث إذ وجه الخليفة أبوجعفر المنصور العباسي اهتمامه لاسترداد سلطان الخلافة الإسلامية على بلاد المغرب.وأصدر أبو جعفر المنصور أوامره إلى محمد بن الأشعث وإلى مصر

1- الشماخي، المرجع السابق، ص126، بحاز ابراهيم،الدولة الرستمية (160_296ه)دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية ،غرداية ،جمعية التراث القرارة،ط1993،ص115

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح : ابو الفداء عبد الله القاضي ,ج3، بيروت ، د . ن, ط 2 , 1998 ص316.

3- البكرى (ابو عبيد الله بن عبد العزيز)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، بغداد, العراق , مكتبة مثنى ,د, ط, 1857 ص28،(يروي البكرى أنها سميت رقادة لكثرة جثت القتلى ورقادها بعضها فوق بعض)

4- ابن عذارى المراكشي , البيان المغرب في اخبار الاندلس و المغرب تح و مرا :ج.س.كولان ,إ.ليفي بروفنسال ج1، ص71.

بتحريك الجيوش إلى المغرب و يبدو أن ابن الأشعث استهان بقوة الحركة الإباضية في افريقية حيث أرسل قوة من ناحية برقة بقيادة العوام

بن عبد العزيز البجلي فخرج إليها أبو الخطاب وما إن وصل ورداسه حتى وجه إلى هذه الحملة صحران الهوارى فلقى العوام وهزمه بأرض سرت.[1]

فجهز محمد بن الأشعث جيشا آخر جعل عليه أبا الأحوص عمر بن الأحوص العجلي فلقيه أبو الخطاب بمغمداس سنة (142هـ/759م)، ودارت بينهما معركة انتهت بهزيمة أبي الأحوص وانسحابه إلى مصر.[2]

أمام هذه الهزائم المتلاحقة أمر أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث بالتوجه إلى المغربنفسه بعد أن أسند إليه ولاية إفريقية[3]. و لم يكتف بذلك بل أمده بالجيوش، يذكر ابن الأثير أن عددها كان أربعين ألفا منهم ثلاثون ألف فارس من أهل خراسان وعشرة آلاف من أهل الشام، و يبدو أن هذا الجيش قد تضخم حين خروجه من مصر حتى بلغ خمسين ألفا من الجنود، كان عليهم ثمانية وعشرون قائدا[4]، منهم الأغلب بن سالم التميمي والمحارب بن هلال الفارسي، والمخارق بن غفار الطائي وهم نواب ابن الأشعث في القيادة.

مضى ابن الأشعث بهذا الجيش الكثيف، وكان أبو الخطاب قد تهيأ لحرب ابن الأشعث فأرسل في استدعاء عبد الرحمان بن رستم من القيروان، و تذكر معظم المصادر أن خلافا كبيرا نشب بين جماعات الإباضية حيث تنازعت زناتة وهوارة واتهمت زناتة أبا الخطاب بالميل إلى هوارة وفارق بعضهم أرض المعركة. يقول ابن عذارى:" إن زناتة وهوارة تنازعت فيما بينهما، واتهمت زناتة أبا الخطاب في ميله مع هوارة ففارقه جماعة منهم"وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى

---

[1]- الشماخي، المرجع السابق، ص130

[2]- البكري، المرجع السابق، ص7، ج1.

[3]- ابن الأثير، المرجع السابق، ج5، ص317.

[4]- ابن عذارى، المرجع السابق، ج1، ص72 (و يذكر ابن الابار أن عددهم كان مائة و ثمانية و عشرون قائدا و لكن رواية ابن عذارى أقرب إلى الصحة لأن عدد القادة يتناسب و عدد الجيش، ابن الابار: الحلة السيراء، د.حسين مؤنس، ج1، ص69.

ضعفجبهة الإباضية رغم كثرة عددهم فالتقى ابن الأشعث بمن تبقى مع أبي الخطاب واقتتلوا قتالا شديدا هزمت فيه الإباضية وانتهت المعركة بمقتل أبي الخطاب سنة (144هـ/761م).

والشماخي المؤرخ الإباضي لا يذكر شيئا من هذا الخلاف بين زناتة وهوارة وإنما يروي أن انصراف الجموع عن أبي الخطاب كان بسبب خدعة حربية أحكمها ابن الأشعث حول الإباضية حيث تظاهر بالعودة إلى مصر وكان الوقت وقت زرع فتفرق الناس عن أبي الخطاب إلى زروعهم وأوطانهم فدهم ابن الأشعث الإباضية وهم على هذه الحال فهزمهم عند تورغا[1]

وصلت أنباء الكارثة التي حلت بالإباضية إلى مسامع عبد الرحمان بن رستم فسار بأهله إلى المغرب الأوسط و قد حمل معه ما خف من ماله تاركا خلفه القيروان التي وصلها محمد بن الأشعث في جمادى الأولى سنة (144هـ/761م)[2]

وتأكد لعبد الرحمان بن رستم أن نجاح الإباضية في منطقة يسود فيها المذهب السني، وتقاتل عنها جيوش الخلافة العباسية بضراوة شديدة أمر غير مكفول النتائج، ولذلك أصبحت منطقة تاهرت في المغرب الأوسط هي المكان الطبيعي الذي تضمن ظروفه الطبيعية والسياسية إقامة الدولة الإباضية.

أولا :نسب الرستميين:كان انتقال عبد الرحمان بن رستم إلى المغرب الأوسط إيذانا بظهور الدولة الرستمية، التي أصبحت قوة جديدة لها أثرها البالغ في تشكيل أحداث المغرب كله، إلى نهاية القرن الثالث الهجري. والحديث عن الدولة الرستمية يشدنا إلى الحديث عن مؤسسها عبد الرحمان بن رستم الذي أجمعت المصادر على أنه فارسي الأصل. وإن اختلفت هذه المصادر فيما بينها في تحديد طبيعة هذا الأصل الفارسي.

فالبكري يرتفع بنسب عبد الرحمان بن رستم إلى أصل ملكي يرتبط بأكاسرة الفرس الساسانيين، فجده هو: بهرام بن ذي شرار بن سابور بن بابكان بن سابور ذي الأكتاف الملك

[1]- الشماخي، السير، ص131-132.

[2]- سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي، ج 3 ,د ,م دار المعارف الاسكندرية ,د ,ط ,د ,تا ص315.

الفارسي.[1]ونفس الرواية نجدها عند الياقوت مع مزيد من الإيضاح في الوصول بهذا النسب إلى الاصل الملكي الفرسي

((بهرام بن بهرام جور بن شابور بن باذكان بن شابور ذي الأكتاف ملك الفرس))

أما ابن خلدون فيجعل عبد الرحمان بن رستم من أبناء رستم أمير جيش فارس في موقعة القادسية وقد عبر عن ذلك بقوله: وكان عبد الرحمان بن رستم من مسلمة الفتح وهو من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية.[2]وعند ابن حزم الأندلسي أن بني رستم ينتمون إلى الملك الفارسي جاماسب بن فيروز، وجاماسب هذا هو عم أنو شروان يقول: وبنو رستم، ملوك تيهرت، من ولد جاماسب.[3]

و لا يعقل أن يكون عبد الرحمان بن رستم من أبناء رستم أمير جيش فارس في موقعة القادسية إذ أن الأقرب إلى المعتاد من الأعمار يجعل في قبول ذلك كثير من الشك لأن رستم قتل سنة (16هـ/637م)، و توفي عبد الرحمان بن رستم سنة (171هـ/787م)، فيكون عبد الرحمان قد عمر مائة سنة وبضعا وخمسين سنة و م يذكر هذا أحد من المؤرخين

أما نسبة عبد الرحمان بن رستم إلى بهرام (مولى عثمان بن عفان) فليس فيه ما يستبعد[4]، لأن يزدجرد آخر ملوك فارس كان له ابنان هما بهرام وفيروز، وثلاث بنات هن أدرك وسها ومراد وزبد.

وينفرد المسعودي من بين المؤرخين برواية تقول[5]: بأن هناك من يرى أن الرستميين من بقايا الإشبانخيث يقول:" وقد كان ميمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم الفارسي وهو

[1] – البكري ،المرجع السابق، ص68.

[2]– الحموي،(شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي) معجم البلدان، ط، دار صادر و دار بيروت 1956، مادة تاهرت، ج2، ص8.

[3]– ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد ، العبر و الديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر , بيروت ,منشورات دار الكتاب اللبناني، ج6، ص246.

[3]–البكري، المرجع السابق، ص67.

[5]–المسعودي ابو الحسن علي بن الحسن،مروج الذهب ومعادن الجوهر،بيروت،دار الأندلس،ص225

إباضي المذهب، وهو الذي أنشأ في ذلك مذهب الخوارج وقيل أنهم (الرستميون) من بقايا الإشبان"

وقد اختلف المؤرخون في حقيقة الإشبان فيرى المسعودي أنهم من الفرس الذين انتقلوا إلى المغرب من بلاد أصبهان. وله رأي آخر في هذا الشأن ذكره في كتابه أخبار الزمان فهم من ولد سودان بن كنعان الذين تناسلوا بالمغرب. وفي ضوء هذين الرأيين للمسعودي يصبح الرستميون من سكان المغرب الأصليين الذين كانوا موجودين قبل الفتح الإسلامي للمغرب.

وقد أشار المقري[1] في كتابه نفح الطيب إلى رأي ثالث في حقيقة الإشبان فهم نسبة إلى ملك الأندلس، إشبان بن طيطشالذي تنسب إليه مدينة إشبيلية، وقد قيل إن إشبان هذا من عجم رومة أو أنه من أصبهان التي ولد بها.وهذا الطرف الأخير من الرواية يعني أن الإشبان من الفرس وأن الرستميين بالتالي من أصل فارسي، كما تعني هذه الرواية أيضا أن البيت الرستمي وافد إلى المغرب من الأندلس و قد يكون هذا صحيحا إلا أن ذلك يعوزه الدليل ولكن الذي يتضح من الروايات السالفة على اختلاف مصادرها أن الرستميين ينتسبون إلى أصل فارسي.

ثانيا: البيت الرستمي وصلته بالمغرب:

أسفرت حركة الفتح الإسلامي في بلاد فارس، عن انتقال أعداد من الفرس إلى أنحاء الجزيرة العربية، ليعيشوا ضمن المجتمع الإسلامي تحت اسم الموالي وكان بهرام جد عبد الرحمان بن رستم من هؤلاء الموالى، إذ كان مولى لعثمان بن عفان[2]. وطبيعي أن تتدخل علاقة عثمان ببهرام على هذا النحو في تحديد المدينة مكانا طبيعيا لإقامة بهرام، حيث يكون قريبا من مولاه عثمان بن عفان، وبالتالي فإن رستم ولد بهرام أقام في المدينة. وتعتبر إقامة البيت الرستمي على هذا النحو في المدينة، دعما لأركانه الإسلامية حيث يحتمل أنه درج في بيت الخلافة، فنهل من فيضها الإسلامي الرفيع، وغدا ذلك مهيئا عظيما لشخصية عبد الرحمان بن رستم.

[1]–المقري ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ،تا،د،احسان عباس ،دار صادر بيروت ،1996،ص134

[2]– البكري: المرجع السابق، ص67.

سلك البيت الرستمي طريقه إلى المغرب ممثلا في شخص عبد الرحمان بن رستم و قد حدد ابن خلدون طلائع علاقة البيت الرستمي بالمغرب بطوالع الفتح الإسلامي لهذه البلاد حين قال:" وقدم عبد الرحمان بن رستم إلى إفريقية مع طوالع الفتح فكان بها"[1].والمعروف أن الطوالع تتحدد تاريخيا ببداية الفتح وتنتهي بالطوالع التي قدم بها موسى بن نصير لإتمام فتح المغرب نهائيا وضمه إلى الدولة الإسلامية.وللشماخي رواية توضح الإجمال في رواية ابن خلدون، حول طلائع علاقة البيت الرستمي ببلاد المغرب يقول:"كان عبد الرحمان بن رستم بمدينة القيروان وسبب وصوله إليها أن أباه رستم بن بهرام قدم مكة حاجا بزوجته وابنه عبد الرحمان فمات فتزوجت زوجته رجلا من القيروان فأقبل مع أمه."

و لم يكن عبد الرحمان بن رستم حين وصل إلى القيروان قد شب عن الطوق، إذ كان في طفولته المبكرة، و القرائن التاريخية تؤكد ذلك، فإذا عرفنا أن عبد الرحمان رحل إلى البصرة و هو شاب حدث السن، بعد أن تلقى المذهب الإباضي على يد سلمة بن سعيد في أول القرن الثاني الهجري[2]

وقارنا هذه الفترة بطوالع الفتح الأخيرة التي جاء فيها عبد الرحمان بن رستم إلى المغرب وصلنا بسهولة ويسر إلى أنه كان طفلا صغيرا حين انتقل من الحجاز إلى القيروان.

ثالثا:الموطن الجديد.

أصبحت القيروان موطنا جديدا لعبد الرحمان بن رستم حيث تفتحت مواهبه في رحابها على يد فقهائها وعلمائها، فقد كانت القيروان إذ ذاك مصرا من الأمصار الإسلامية الهامة، التي كانت تقف مصدرا وحيدا يشع بالعلم والعرفان في بلاد المغرب كلها.

وتمثل عبد الرحمان بن رستم ما استطاع تمثله من ثقافة القيروان، ولكنه مال إلى تعاليم الخوارج كما يقول ابن خلدون:" وأخذ عبد الرحمان بن رستم بدين الخارجية والإباضية منهم[3]،

[1]– ابن خلدون: المرجع السابق، ج6، ص246.

[2] – الشماخي: المصدر السابق، ص123.

[3]– ابن خلدون: المصدر السابق ، ج6، ص246.

وكان ذلك بتأثير من سلمة بن سعيد داعية الإباضية الذي كان يجتهد آنذاك في نشر المذهب الإباضي في ربوع المغرب.

وقد حفظ الدرجيني في طبقاته نصا جاء على لسان عبد الرحمان بن رستم نفسه يؤكد العلاقة الوطيدة بينه وبين هذا الداعية الإباضي فقد قال عبد الرحمان بن رستم:"أول من جاء يطلب مذهب الإباضية ونحن بقيروان إفريقية سلمة بن سعيد قال: عبد الرحمان بن رستم قدم علينا من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن عباس معتقين على بعير وسلامة يقول وددت أن لو ظهر هذا الأمر يعني مذهب الإباضية يوما واحدا أو النهار إلى آخره فلا آسف على الحياة بعده فقام عبد الرحمان مجتهدا في طلب ذلك الأمر"

ويلاحظ أن عبد الرحمان بن رستم عندما اعتنق المذهب الإباضي كما قال ابن خلدون، كان ذلك المذهب قد تطور تطورا جعله قريبا من مذهب أهل السنة. وهو أمر كانت له دلالته في الأسس التي شيد عليها عبد الرحمان بن رستم دولته.

فهذا المذهب ينتسب إلى عبد الله بن إباض المري التميمي الذي يصفه الدرجيني بأنه كان إماما لأهل الطريق و رئيسا لإباضية البصرة و غيرها من الأقطار. و يمثل المذهب الإباضي آخر تطورات الفكر الخارجي، لأن حركة الخوارج أخذت تلفظ من بين صفوفها دعاة التطرف و تجنح إلى كثير من الاعتدال، و تجلى ذلك في مدينة البصرة مركز هذه الحركة بالعراق، فقد تضامن أهل هذه المدينة ضد الخوارج و أخرجوا منها كل متطرف مثل: نافع بن الأزرقو لم يبق بالمدينة غير اثنين هما ابن إباص و ابن الصفار و على ذلك انقسم الخوارج إلى قسمين، نادى أحدهما بالجهاد و هو القسم الأول المتطرف الذي اهار أمام طرقات الأمويين العنيفة، على حين ظل القسم الآخر المعتدل يتابع نشاطه في خطى وئيدة و مضطردة، و انقسم الفريق المعتدل بدوره إلى قسمين، مال أحدهما بقيادة ابن إباض إلى مزيد من التسامح مع المخالفين، و الآخر إلى التزامه بنوع من عدم التساهل مع المخالفين.

و تتضح أهم معالم الفكر الإباضي في المبادئ التي نادى بها شيوخ هذا المذهب و التي شرحها البغدادي و الشهرستاني[1] على النحو التالي. فالإباضية اعتبروا أن مخالفيهم من هذه الأمة

[1]-الشهر ستاني محمد بن عبد الكريم ،الملل والنحل ،ج1،د.م،دار صادر ،د.ط،د.تا ،ص134

ليسوا مؤمنين و لا مشركين و إنما كفار بالنعم، و لذلك أجازوا شهادتهم و حرموا دماءهم في السر و استحلوها في العلانية، و صححوا مناكحتهم و التوارث منهم، و استحلوا من أموالهم الخيل و السلاح في حالة الحرب. كما اعتبروا أن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان[1]. بمعنى أنها (دار المخالفين لهم) ليست أرض أعداء و إنما هي وطن للجميع من الخوارج و غير الخوارج دون تمييز، كما اعتبر علماء الإباضية مرتكبي الكبائر و جميع المقصرين في الشؤون الدينية موحدين لا مؤمنين، و قد كان هذا التمييز حدثا هاما في الحركة الخارجية، لأن الأزارقة اعتبروا الشرك واحدا و طبقوه على جميع المخالفين لهم في تطرف شديد، وقد ترتب على هذه المبادئ القول بالعقود عند الإباضية و عدم محاربتهم للمخالفين لهم بل و قد فتحت الباب على مصراعيه لمعاشرة هؤلاء المخالفين و الاشتراك معهم في الحياة العامة.

و بذلك أصبحت جماعة الإباضية مسالمة إلى أقصى حد و أصبح مذهبا أقرب المذاهب إلى مذهب أهل السنة[2]

على أن الجماعة الإباضية لقيت الكثير من العنت و الاضطهاد من جانب الأمويين في أواخر القرن الأول الهجري على يد الحجاج بن يوسف الثقفي[3]. مما جعل أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة – الذي كان شيخا للمذهب الإباضي آنذاك– يفكر في نشر المذهب الإباضي في أطراف الدولة الإسلامية، و على الأخص في بلاد المغرب. فاختار رجلا من أنشط تلاميذه و هو سلمة بن سعيد و كان ذلك استغلالا ذكيا من أبي عبيدة، فالمغرب بعيد عن مقر الخلافة الأموية في دمشق و هذا يهيئ للدعاة الأمان من ضربات الحكومة كما أن أرض المغرب ما زالت ميدانا بكرا تستطيع أفكارهم أن تصول و تجول فيه لأن البربر مازالوا قريبي العهد بالإسلام، و أصبح من السهل على

[1]– البغدادي: (عبد القادر بن محمد ت 429ه) ,الفرق بين الفرق , تح : محمد محي الدين عبد الحميد , لبنان . المكتبة العصرية . د, ط, 1995ص 103.

[2]–سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق ، ص 309.

[3]– السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، دراسة تاريخية و عمرانية و اثرية ج 2 ,بيروت ,دار النهضة العربية للطباعة و النشر ,د,ط,ص534.[3]–

الدعاة أن يوجهوا سكانه إلى حيث يريدون، و مما ساعد الدعاة على التقدم في مهمتهم سوء الإدارة العربية و اضطرابها نتيجة لسياسة بعض ولاة المغرب[1].

و أمام كل هذه الظروف نجحت الدعوة للمذهب الإباضي في بلاد المغرب على نحو تجاوز كل تقدير في الحسبان مما جعل البربر يتوقون إلى التعمق في دراسة المذهب من أصوله المشرقية فكونوا بعثة علمية رحلت إلى البصرة، و لقبوا أصحابها حملة العلم و كان من بينهم عبد الرحمان بن رستم.كانت البعثة العلمية التي سمي أصحابها حملة العلم هي أولى الثمار الحقيقية التي جناها دعاة الإباضية في المغرب، إذ أن هذه البعثة تمثل مرحلة الإعداد الفكري للأشخاص الذين سيقومون بالتطبيق العملي لمبادئ الفكر الإباضي في بلاد المغرب، ومن ثم كان حرص سلمة بن سعيد على أن تعد هذه البعثة إعدادا خاصا على أئمة المذهب في البصرة.

و اختار سلمة بن سعيد لهذه المهمة أربعة من تلاميذه المخلصين هم عبد الرحمان بن رستم، و عاصم السدراتي، و إسماعيل بن درار الغدامسي، و أبو داود النفزاوي[2]. و راعى سلمة في هذا الاختيار أن يكونوا من أماكن متفرقة حتى يتيحوا للدعوة الإباضية فرصة الانتشار في أكبر مساحة ممكنة في بلاد المغرب بعد عودتهم[3]. فبعد عبد الرحمان بن رستم كان من القيروان، و عاصم السدراتي من غرب الأوراس و المغرب الأوسط، و أبو داود النفزاوي كان ينتمي إلى نفزاوة في جنوب إفريقية، أما إسماعيل بن ضرار الغدامسي فهو من غدامس في جنوب طرابلس.[4]

وعندما وصلت هذه البعثة إلى البصرة انضم إليها أحد دعاة الإباضية العاملون في اليمن، و حضرموت، و هو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح.

---

[1]-السلاوي أبو العباس خالد الناصر ،الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى ،تح،جعفر الناصري و محمد الناصري ،دار البيضاء ،دار الكتاب،د.ط،1961، ص 221.

[2]-الشماخي،المرجع السابق، ص 98-12

[3]- علي يحي معمر، المرجع السابق، ص26.

[4]-دبوز،المرجع السابق ، ج3، ص 188.

و يبدو أن حملة العلم وصلوا إلى البصرة في ظروف سياسية اقتضت من الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة أن يلقنهم العلم "في سرب على فمه سلسلة فإذا أقبل أحد حركت فيسكتون و إذا انصرف حركت فيأخذون في القراءة"[1]

عكفت هذه الجماعة مدة امتدت إلى خمس سنين درست خلالها المذهب الإباضي كما درس أفرادها أحوال المغرب السياسية و أنسب الأوضاع لإقامة دولة إباضية، و انتهت هذه الدراسة بترشيح أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري رئيسا لهذه الدولة المنتظرة يقول الدرجيني: "فقالوا يا شيخنا أرأيت لو كانت لنا في المغرب قوة و وجدنا في أنفسنا طاقة فنولي علينا رجلا منا فقال لهم أبو عبيدة توجهوا إلى بلادكم فإن يكن من أهل دعوتكم من العدد و العدد ما تجب معه

التولية عليكم فولوا على أنفسكم رجلا منكم فإن أبا فاقتلوه و أشار إلى أبي الخطاب"

و أصبح حملة العلم بعد دعوتهم إلى بلاد المغرب من البصرة يمثلون طلائع الرابطة الجديدة التي غدت تربط بين المغرب العربي و المشرق العربي، و رمزا للتجاوب بين التيارات الفكرية السائدة بينهما.

عاد عبد الرحمان بن رستم مع زملائه حملة العلم من البصرة و أصبح أقوى مساعدي أبي الخطاب فقد ولاه منصب القضاء في طرابلس. و بعد استيلاء أبي الخطاب على القيروان سنة (141هـ/758م) أسند إلى عبد الرحمان بن رستم إدارة شؤونها[2]، بالإضافة إلى قسم من بلاد المغرب الأوسط كان سكانه من الإباضية يمتد من جزائر بني مزغنة إلى وهران[3]

[1]-الشماخي، المرجع نفسه, ص124، (و المعروف أن أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة تعرض للاعتقال من جانب السلطات الأموية فقد سجنه الحجاج مع جماعة من الإباضية و لم يفرج عنه إلا في خلافة سليمان بن عبد الملك).

[2]-البكري، المرجع السابق ، ص352. اليعقوبي احمد بن يعقوب بن واضح ،كتاب البلدان،د.م،دار احياء التراث العربي ،ط2،1988،ص353.

[3]السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ المغرب الكبير ،دراسة تاريخية و عمرانية و اثرية ج 2 , بيروت , دار النهضة الغربية للطباعة و النشر ,د ,ط , 1981 ص537.

ومن القيروان استطاع عبد الرحمان بن رستم أن يراقب المغرب الأوسط عن كثب، و أن يغذي المذهب الإباضي بالكثير من الأنصار و الأتباع، إذ رأى في المغرب الأوسط امتدادا يحمي الدولة الناشئة في طرابلس، و يؤكد نظرة عبد الرحمان بن رستم إلى المغرب الأوسط، ما تحدث عنه ابن خلدون من وجود تحالف وطيد بين عبد الرحمان بن رستم و بين قبيلة لماية البترية التي كانت تسكن ذلك الإقليم.[1]

و لكن عبد الرحمان بن رستم لم ينعم بمقامه طويلا في القيروان ذلك أن الخليفة العباسي المنصور أرسل قائده محمد بن الأشعث لضرب الإباضية في المغرب و على رأسهم أبو الخطاب سنة (144هـ/761م) و رأى هذا القائد العباسي في عبد الرحمان بن رستم أكبر الخطر في جيش عظيم لدعم قوات أبي الخطاب التي زحفت لمقاومة جند ابن الأشعث، و ما أن وصل هذا الجيش إلى قابس حتى بلغته أنباء مقتل أبي الخطاب و هزيمته[2] فعاد مسرعا إلى القيروان، فوجد ان الأمور ازدادت سوءا فيها، و أخذ أهل القيروان عامله فأوثقوه في الحديد، و ولوا على أنفسهم عمر بن عثمان القرشي[3]، و هكذا تبددت آمال عبد الرحمان بن رستم، و لم يكن أمامه إلا أن يفر بنفسه و أهله إلى المغرب الأوسط.

وجد عبد الرحمان بن رستم أن من الأسلم له و لأتباعه النجاة إلى المغرب الأوسط فهناك يستطيع بفضل أنصاره و أتباعه أن يقيم دولة على المذهب الإباضي على غرار دولة أبي الخطاب في طرابلس فخرج مستخفيا قاصدا المغرب الأوسط[4].

و قد أحاط كتاب الإباضية فرار عبد الرحمان بن رستم بهالة قصصية فيها شيء من البطولة و قوة الإرادة، فقد وقع عبد الرحمان بن رستم قبل فراره من القيروان في يد عبد الرحمان بن حبيب و لكنه أطلقه بعد أن تشفع له أحد القيروانيين من ذوي المكانة عند عبد الرحمان بن حبيب.[5]

---

[1]- ابن خلدون، المرجع السابق، ص247.

[2]-الشماخي،المرجع السابق ص132.

[3]-ابن عذاري، المرجع السابق ج1، ص72.

[4]-السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق ص539.

[5]-.سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص380.

و يبرر الشماخي سوء العلاقة بين عبد الرحمان بن حبيب بأن: ابن رستم حين أراد المسلمون توليته (أي عبد الرحمان بن حبيب) لبعض أمورهم قال: إن ابن حبيب إبليس أو شيطان في صورة إنسان فحقدها عليه ابن حبيب.

و أيما كان الأمر فقد أفلت عبد الرحمان بن رستم من قبضة عبد الرحمان بن حبيب و خرج من القيروان جادا في المسير سنة (114هـ/761م)[1] و لم يكن معه شيء إلا ما خف من ماله و ابنه عبد الوهاب و مملوكه و فرسه[2]

وما سار الركب غير قليل حتى ماتت الفرس فدفنوها حتى لا يتبع آثارهم أحد من يجدون في طلبهم، و لما تعجب عبد الرحمان من السير و أدركه الإعياء و الملل صار ابنه عبد الوهاب و غلامه يحملانه بالتناوب، و غدا كل منهما يقول لصاحبه:" إن أدركنا العدو فما دون الخمسمائة لا تضع الشيخ لجلدهما و شجاعتهما".

و قد سلك عبد الرحمان بن رستم في سيره الطريق الجنوبية المارة بقسطيلية[3]، إذ واصل عبد الرحمان بن رستم طريقه من جنوب نفطة مخترقا شمال وادي سوف، متجها إلى الغرب على شمال (تيفورت) و مدينتي القرارة و بير ريان من وادي ميزاب إلى مدينة الأغواط و من غرب هذه المدينة اخترق جبال بني راشد فذهب شمالا على شرق مدينة (آفلو) و غرب وادي شلف حتى انتهى به الطريق إلى وادي (سوفجج) و عين سوفجج التي تنبع من سفح جبل سوفجج[4]. و يؤيد هذا ما ذهب إليه الدرجيني من أن عبد الرحمان بن رستم دفن فرسه التي ماتت في خارج جهة قسطيلية و أن هذا الموضع سمي قبر الفرس

و تعتبر منطقة سوفجج التي لجأ إليها عبد الرحمان بن رستم من أمنع المناطق الجبلية في المغرب الأوسط، فسوفجج هو الجبل الرابع من سلسلة الجبال التي تمتد من مدينة (السوقر) في الجنوب الغربي لمدينة تاهرت، و مدينة شلالة في الجنوب الشرقي منها، و حول هذا الجبل كانت

[1]- البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، ص68.

[2]- الشماخي،المرجع السابق ، ص133.

[3]- السيد عبد العزيز ، المرجع السابق ص540.

[4]دبوز: المرجع السابقص256.

مواطن لماية و لواتة و هوارةو هي قبائل كانت قوية الصلة بالمذهب الإباضي بل إن لماية كانت على صلة قوية بعبد الرحمان بن رستم، لذا فقد آثر أن يترل بين أبناء هذه البلدة، و قد حفظ لنا ابن خلدون نصا يؤكد هذه الحقيقة الهامة يقول ابن حلدون: و قتل أبو الخطاب و طار الخبر بذلك إلى عبد الرحمان بن رستمبمكان إمارته في القيروان فاحتمل أهله و ولده و لحق بإباضية المغرب الأوسط من البرابرة الذين ذكرناهم و نزل على لماية لقديم حلف بينه و بينهم.[1]

و ما أن وصل عبد الرحمان بن رستم إلى سوفجج حتى سمع به "وجوه الإباضية و علماؤهم فقصدوه من كل النواحي حتى اجتمع عنده من طرابلس و جبل نفوسة من العلماء، فقط ما يزيد على ستين من أكابر العلماء و أهل الفضل و الرأي".

أخذت أحبار عبد الرحمان بن رستم تملأ الآفاق في المغرب الأوسط حتى وصلت مسامع محمد بن الأشعث في القيروان، فجهز جيشا سار به نحو سوفجج ونزل في سفحه حفر خندقا حول معسكره خوفا من هجوم عبد الرحمان بن رستم و من معه عليه و ظل محاصرا بالجبل مدة طويلة حاول خلالها اقتحام الجبل بكل الوسائل و لكنه فشل. و اضطر إلى فك الحصار و العودة إلى القيروان بعد أن تفشى داء الحمى و الجذري بين جنوده و مات منهم خلق كثير. و انسحب إلى القيروان قائلا:"إنسوفجج لا يدخله إلا دراع و مدجج."[2]

أخذت فلول الإباضية تتجمع و تتكاثر على جبل سوفجج الذي اتخذوه مكانا يتدربون فيه على القتال، و يستعدون لخوض المعارك التي ستواجههم و استطاع عبد الرحمان بن رستم أن يقف على قدميه أمام الأحداث و يسير بخطى ثابتة في المغرب الأوسط بينما عاد ابن الأشعث إلى القيروان محاولا تثبيت أقدام العباسيين في إفريقية، و لم يكن ذلك بالأمر الهين عليه، فما لبث أن واجهته ثورة الجند الخلافي، و لم تنته هذه الثورة إلا بإخراجه من المغرب سنة 148هـ ،و خلفه الأغلب بن سالم الذي لم يسلم هو الآخر من ثورات جند الخلافة عليه، فراح ضحية سهم طائش

[1]–ابن خلدون ،المرجع السابق،ص247.

[2]–الباروني ، المرجع السابق، ص3.

أصيب به حينما كان يخضع أحد الجنود الثائرين و هو الحسن بن حرب الكندي سنة(150هـ/767م)[1]

لما بلغ أبا جعفر المنصور نبأ قتل الأغلب بن سالم بعث إلى إفريقية عمر بن حفص الذي وصلها سنة(152هـ/768م)، و عرف عمر هذا بشجاعته الفائقة في ميدان الحرب و القتال حتى أنه لقب

بهزارمرد هي كلمة فارسية معناها ألف رجل، و هدأت الأحوال في عهده و استقامت الأمور طيلة ثلاث سنوات[2]. وقد أغرى ذلك السكون أبا جعفر فتطلع إلى بسط سلطان الخلافة على المغرب الأوسط فأمر عمر بن حفص بالتوجه إلى طبنة قاعدة إقليم الزاب لتحصينها و بناء سورها[3].

و تعتبر قاعدة طبنة المفتاح الذي يجب الاحتفاظ به للتحكم في المغرب الأوسط فضلا عن أنها السبيل لاسترداد القيروان نفسها إذا ما سقطت في أيدي الأعداء. و أحس عبد الرحمان بن رستم و من معه من الإباضية بخطورة العمل الذي أقدم عليه عمر بن حفص "فاتفق ابن رستم مع أنصاره في طرابلس و جنوب إفريقية و تلمسان على الانتفاض و محاربة العباسيين"، و يدل ذلك على ان الأمور كانت تسير بتنسيق تام بين جماعات الخوارج في بلاد المغرب على اختلاف مذاهبها و مواطنها.

استخلف عمر بن حفص على القيروان حبيب بن حبيب المهلبي، و خرج هو إلى طبنة لتنفيذ المهمة التي كلف بها، حينئذ ثار البربر بإفريقية و زحفوا نحو القيروان، فخرج إليهم

جبيب بن حبيب المهلبي فقتلوه، و في نفس الوقت اجتمع البربر الإباضية في طرابلس و ولوا عليهم أبا حاتم يعقوب بن حبيب الإباضي، الذي ألحق الهزيمة بالجنيد بن بشار عامل عمر بن

[1]– ابن عذاري ، المرجع السابق ص75.

[2]–ابن الأثير، المرجع السابق ، ص598.

[3]– السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابقص350-351.

حفص على طرابلس، و لم يكتف بذلك بل تقدم و حاصرت قواته القيروان، و اشترك أيضا في حصار عمر بن حفص المقيم بطبنة.

و اشتعلت نيران الفتنة بإفريقية و جاءها جيوش الإباضية الصفرية من كل فج، و يجمع معظم المؤرخين على أن هذه الجيوش بلغت اثني عشر عسكرا، "و رؤساؤهم أبو قرة الصفرى في أربعين ألفا و عبد الرحمان بن رستم الإباضي في خمسة عشر ألفا، و أبو حاتم في عدد كثير و عاصم السدراتي في عدد كثير: قيل في ستة آلاف و المصور الزناتي في عشرة آلاف و عبد الملك بن سكرديد الصنهاجي الصفري في ألفين سوى جماعات أخرى"

اتجهت هذه الجيوش كلها نحو الزاب لتحاصر عمر بن حفص الذي كان في خمسة عشر ألفا و خمسمائة. و انجلى الموقف عن نتائج خطيرة، فالقيروان تحاصرها القوات الإباضية، و عمر بن حفص تحاصره قوات التحالف الإباضي الصفري، و إزاء هذا جمع عمر بن حفص قواده و استشارهم فيما يفعله فأشاروا عليه بالبقاء في طبنة و قالوا: "أخرج منا من أردت إلى عدوك و لا تخرج أنت، فإنك إن أصبت تلف المغرب و فسد".[1]

و لم يكن أمام عمر بن حفص إلا أن يعمل الحيلة لتفريق هذه الجموع، فأرسل إلى أبي قرة رسولا برشوة من المال تقدر بستين ألف درهم ليرجع عن حصار طبنة و لكن أبا قرة رفض ذلك بشدة قائلا: بعد أن سلم علي بالخلافة أربعين سنة أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا".[2] فانصرف رسول عمر بن حفص إلى أخي أبي قرة، و نجح في مهمته و قدم إليه أربعة آلاف درهم و ثيابا ليعمل في صرف أخيه عن طبنة، فأجابهم و ارتحل في نفس الليلة عن طبنة و تبعه العسكر منصرفين إلى بلادهم فلم يجد أبو قرة بدا عن اتباعهم و انسحب مضطرا من أرض الحصار[3].

و بعد نجاح هذه الحيلة، لم يعد أمام عمر بن حفص إلا أن يحطم قوة الإباضية الذين كانوا يحتفظون بقواتهم الرئيسية عند قهوذة بقيادة عبد الرحمان بن رستم. والذي يظهر من الروايات التي

[1]-ابن عذاري، المرجع السابق ص75-76.

[2]- ابن الأثير، المرجع السابق ص299

[3]- ابن عذاري، المرجع نفسه ، ص 76.

ذكرها المؤرخون[1] أن عبد الرحمان بن رستم فوجئ بقوات عمر بن حفص تهاجمه بقيادة مهمر بن عيسى العبدي، و رغم صغر حجم هذه القوات المهاجمة، التي ذكر الرقيق أنها كانت ألفا و خمسمائة جندي بينما كان عبد الرحمان بن رستم في خمسة عشر ألفا، فقد استطاعت هذه القوة الصغيرة إلحاق الهزيمة بجيش عبد الرحمان بن رستم الكثيف، و هذا ما يؤكد تحقق عنصر المفاجأة التامة، الأمر الذي جعل خسائر ابن رستم كثيرة جدا، إذ قدرها ابن عذاري بثلاثة آلاف جندي

تراجع عبد الرحمن بن رستم منهزما الى إقليم تاهرت،وكانت هده الهزيمة نقطة تحول بارزة فيتاريخ قيام الدولة الرستمية ،فقد رأى عبد الرحمان بن رستم ان ينسلخ عن قوى الصفرية المتضاربة التي لاتجمعها أهداف واحدة ،وفضل ان يعمل بمفرده معتمدا على نفسه وعلى التجمعات الإباضية التي تقفل حوله في المغرب الأوسط ،وهكدا حمل الإباضية بقيادة عبد الرحمان بن رستم اعباء الصراع في المغرب الأوسط بعد ان تراجت قوى الصفرية تلك القوى التي وجدت نفسها في مأمن هناك في المغرب الأقصى .

رابعا:مبايعة عبد الرحمان بن رستم بالإمامة وقيام الدولة:

كان عبد الرحمان بن رستم يحمل شخصية الداعية القوي ،التي تستطيع ان تستقطب حولها المؤيدين بسرعة ،وعلى الرغم منان المصادر لم تذكر شيئا عن عبد الرحمان بن رستم في الفترة مابين انهزامه أمام قوات عمربن حفص ةبين مبايعته بالإمامة ،فالذي يظهر ان عبد الرحمان بن رستم قضى هذه الفترةفي تنظيم وتدعيم صفوف الإباضية ،وفي نفس الوقت قام بدعاية واسعة شملت المغرب الأوسط كله [2].(انظر الملحق رقم 01)

وقد كان للوضع الجغرافي للمنطقة التي تمركز فيها عبد الرحمان بن رستم أثره في نماء قوته ،ونجاح الدعاية الواسعة التي قام بها لنشر تعاليم المذهب الإباضي ،إذ ساعد على نجاح هده دعوة ابن رستم ان المنطقة التي نزلها تعتبر إمتدادا لبلاد الزاب ،وان كثيرا من قبائلها من لواتة وهوارة

[1]–الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ،تح،المنجي الكعبي ،تونس،د.ن،د.ط،1968،ص143

[2]– محمد عيسى الحريري ، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب و الاندلس (160-296ه) , الكويت , دار القلم و للنشر و التوزيع , ط5 , 1989 ،ص91.

ونفزاوة –مهد الدعوة الإباضية –ولقد سهل هدا المر مسير كثير من إباضية تلك الأقاليم إلى ابن رستم حيث أقاموا بين بني جلدتهم في المغرب الأوسط[1].

نجحت هدي الدعاية التي قام بها عبد الرحمان بن رستم على نحو جاوز كل تقدير ،اذ كانت الركيزة الهامة التى اعتمد عليها في دعايته هي تحقيق المساواة الكاملة و التسامح الديني وقد جعل ذلك الكثير من سكان المغرب الاوسط يلتفون حول عبد الرحمان بن رستم ويرحبون بدعوته وكان من بين هؤلاء من يعتقون مداهب اخرى فقد انضم اليه كثير من الخوارج الصفرية وجماعات تسمى بالوصلية الذين اعتبرهم البكرى من الاباضية فقد كان الواصلية مجمع قريب من تاهرت وكان عددهم نحو ثلاثين الفا ورغم ان الواصلية فرقة من فرق المعتزلة فالظاهر ان الفرقتين تحالفا نتيجة لاخدهما بموقف الوسط بالنسبة لمرتكبي الكبائر (موقف المنزلة بين المنزلتين)وانه لهدا السبب اعتبر معتزلة المغرب من الاباضية .ومادعم الموقف ابن رستم ايضا ان الاباضية في شرق المغرب الاوسط لم يضعوا السلاح ،وما زالوا يناضلون في حلبة الجهاد ،يدافعون عن مبادئهم في صبر وبلاء ،وقد ادرك عبد الرحمان بن رستم اهمية استمرار النضال في شرق المغرب الاوسط اذ ان ذلك يصرف الانظار عن جهوده التي يقوم بها لاقامة دولة اباضية .وكذلك ادركت هده التجمعات الاباضية في شرق المغرب الاوسط بقيادة ابي حاتم الاباضي –امام الدفاع–هده الحقيقة الهامة،فاخدت ترسل المساعدات المالية لعبد الرحمان بن رستم فكان ابو حاتم هذا يرسل مازاد على مايحتاج اليه مما جمع من الزكاة لعبد الرحمان بن رستم قبل ان يتولى الامور وولاية الظهور ،ويبدو ان الامور ظلت تسير على هدا النحو الى ان اتسعسلطان عبد الرحمان بن رستم على هدا النحو دفع الجميع الى التفكير في مبايعته واعلان قيام الدولة الجديدة .وفي موضع تيهرت القديمة انعقد مجلس ضم رؤساء الاباضية وقالو في حوار دار بينهم قد علمتم انه لايقيم امرنا الا الامام نرجع اليه في احكامنا وينصف مظلومنا ويقيم لنا صلاتنا ونؤدى اليه زكاتنا ويقسم فيئنا فقلبوأأمرهم فيما بينهم فوجدوا كل قبيل منهم فيه رأس أراسان أو أكثر يدبر أمر القبيل ويستحق أمر الامامة فقال بعضهم انتم رؤساء ولانامن من أن يتقدم واحد على صاحبه فتفسد نيته ولعل المقدم ان يرفع أهل بيته وعشيرته على غيرهم فتفسد النيات ويكثر الاختلاف ويقل الابتلاف.من هدا الحوار تتضح الظروف التى بويع فيها عبد الرحمان بن رستم ،اذ كان رؤساء الاباضية يتطلعون الى شخصية

[1]–الشماخي ،المرجع السابق ،ص 134.

فريدة بين البربر لا قبيلة تحميها اذا ماظهر عدم صلاحيتها للحكم فيصبح من السهل عليهم تنحيتها وكان عبد الرحمان بن رستم هو تلك الشخصية التي يتطلعون اليها فقالو هذا عبد الرحمان بن رستم لاقبيلةلهيشرف بيها ولاعشيرة له تحميه وقد كان الامام ابو الخطاب رضى لكم عبد الرحمان قاضيا وناظرا فقلدوه اموركم فان عدل فذلك الذى اردتم وان سار فيكم بغير العدل عزلتموه و لم تكن له قبيلة تمنعه ولا عشيرة تدفع عنه.[1] وللشماخي رواية تحدد المبادئ الاساسية التي روعيت في اختيار عبد الرحمان بن رستم يقول فيها فاتفق رايهم (رؤساء الاباضية)على عبد الرحمان لفضله وكونه من حملة العلم ...ولكونه عامل ابى الخطاب على افريقية وماوالاهاولانهلاقبيلة له تمنعه اذا تغير عن طريق العدل.اتجهت انظار الجميع الى عبد الرحمان بن رستم لهده الاسباب مجتمعة فنهضوا اليه باجمعهم وقالوياعبد الرحمان رضيك الامام في اتدائنا ونحن الان نرضى بك ونقدمك على انفسنا فقد علمت انه لايصلحأمرنا الإمام نلجاإليه في أمورنا ونحكم عنده فيما ينوب من أسبابنا فقال لهم إن اعطيتموني عهد الله وميثاقه لتستطيوإلى ولتطيعوني فيما وافق الحق وطابقه قبلت ذلك منكم فأعطوه عهد الله على ذلك وشرطو عليه مثل ماشرط عليهم وقدموه على أنفسهم وهكدا تمت مراسم البيعة وأعلن قيام الدولة الاباضية الجديدة.

[1]- الشماخي، المرجع السابق، ص 134.135،

الفصل الثانى

النظم السياسية والإدارية

- النظم السياسية
- النظم الإدارية
- الأئمة المستبين

إستمرت مدينة تيهرت الجديدة في التطور وقصدها الإباضية من أصقاع المغرب كله وعندما إستأنس الإباضية من أنفسهم قوة ،ووجدوا أنهم يملكون العدد والمكان الحصين فبدؤا في التركيز على بناء دولة قوية الأركان ،وأدخلوا العديد من الأنظمة الساسية والإدارية المنتقاة من أصول العقيدة والتعاليم الإسلامية ، فماهي أهم النظم السياسية والإدارية التي إتخدها الأئمة الرستميون في تسيير شؤون دولتهم ؟.

المبحث الأول:النظم السياسية.

أولا : نظام الحكم

يبدو مما تقدم أن الدولة الرستمية كانت دولة دينية برئاسة إباضية مستقلة ضمن إطار إسلامي. فكان الاباضيون قد أنكروا على الأمويين والعباسيين استئثارهم بالخلافة وحصرها في بيتهم فرفعوا شعار الاصلاح نظام الحكم وأخذوا يطالبون بالخلافة الإسلامية، كما دفعهم إلى ذلك ظلم و جور بني أمية وبني العباس وأن يحددوا واجب الخليفة بأن يتقيد بالكتاب والسنة وأثار الصالحين وأن عليه أن يقيم حدود الله ويؤمن السبل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وينشر العدل و المساواة ويخضع لمبدأ الشورى وإذا خالف هذه المبادئ وجب عزله وإذا امتنع وجب قتله، لأنه في اعتبارهم الراعي الأمين والحارس المخلص للشريعة الإسلامية وهو من أصلح الناس و أعلمهم، وللإمام مجلس شورى وأعوان يساعدونه، و لم تكن سلطته تشمل جميع الإباضيين في المغرب، فقد وجدت إمارات مستقلة عنه مثل إمارة دمرة وإمارة ابن سالة الهواري، و لم تشمل إباضية المغرب الأقصى لكننا نعلم أن سلطته الدينية على الأقل امتدت إلى منطقة طرابلس خاصة جبل نفوسة[1].

[1]–حسن ابراهيم حسن ،النظم الإسلامية ،ص95

ويحمل الإمام ألقابا أخرى مثل: أمير المؤمنين، وكان يسلم عليه بالخلافة و للإمامة عندهم أطوار: طور الكتمان والظهور، الدفاع والثراء، وليس هناك فترة محددة لكل منها[1].

هذا على الصعيد النظري، أما على الصعيد العملي عند الرستميين فإن عبد الرحمان أخذ ولاية القيروان بعقد من أبي الخطاب وموافقة أهل الحل والعقد، وتولى إمامة تاهرت بعد تشاور جماعة الإباضيين فيها. فعقدوا له البيعة على أن يلتزم بكتاب الله وسنة رسوله وآثار الصالحين، وقد تشبه عبد الرحمان بعمر ابن الخطاب فجعل الإمامة شورى بين جماعة من مشايخ المذهب.

وانتهى الأمر بتولي ابنه عبد الوهاب الإمامة فقامت في وجهه معارضة ابن قندين ويسود الغموض حول كيفية تولي أفلح الإمامة، إلا أن المعارضة استمرت في عهده إلى حين وفاته فتولاها أبو بكر بمساعدة جماعة من الناس، فاحتج آخرون على هذا الحضر للإمامة و قام عبد العزيز بن الأوز ينادي بأعلى صوته "الله سائلكم معاشر نفوسة إذا مات واحد جعلتم مكانه آخر و لم تجعلوا المر للمسلمين" بمعنى قوله بأن الرستميين لم يتمسكوا بمبدأ الشورى و استمر النزاع بينهما بعد هذه الصورة للإمامة في تاهرت، فلاحظ أنها لم تخرج عن دائرة الرستميين فإذا خرجت عن أحدهم تولاها آخر قد يكون إبنا أو عما لهذا نستطيع القول أن الإمامة لم تكن للمسلمين عامة و لم تكن وراثية بالمعنى الضيق وهو أن يرث الإبن أباه، فقد ظلت مقصورة على وراثية البيت الرستمي، وإذا استثنينا عبد الرحمان فما من إمام رستمي إلا وقامت في وجهه معارضة من الرستميين أنفسهم وغيرهم، وهذا يعني أن كلا من هؤلاء كان يعتمد على جماعة تناصره وتؤيده حتى يصل إلى كرسي الإمامة حتى بلغ بأبي حاتم أن استعان بالمسيحيين[2].

كما يعني أن الشورى كانت قائمة في اختيار الإمام لكنها شورى محدودة في بيت معين هو البيت الرستمي و كان الاختيار خاضعا لمبدأ الأفضل إلا أن الوصول للكرسي كان خاضعا لمبدأ الأقدر، بهذا يتضح أن الرستميين كانوا يرفعون شعارات نظرية في الإمامة و غيرها، ثم اصطدموا بالواقع

1 ــ جودت عبد الكريم ،المرجع السابق ،ص 50

1ــ جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ،ص 51

عند التنفيذ، فخرجوا عن الالتزام بمبادئهم و هذا ما أدى إلى جعل نظام الحكم أقرب إلى الملكية منه إلى الجمهورية ومن بين هذه المبادئ التي اتخذها الرستميون في حكمهم

أ – المساواة و العدل:

استطاع عبد الرحمان أن يجمع الناس حوله بما أوتي من حميد الأخلاق و تمسكه بدينه، فتقاطر إليها الناس من مختلف الأصقاع و النواحي، و أقاموا في وئام وتوافق تجمعهم المصالح المشتركة وتبعد عنهم روح التعصب الجنسي و المذهبي، واستمروا على ذلك حتى دب الخلاف و ابتدأ التراع على الإمامة، و حين أنس الرستميون من أنفسهم .....عليه من الدين و العلم وبمالهم و بحصولهم على تأييد بعض القبائل البربرية طمعوا في حصر الإمامة في بيتهم كما سبق و جعلوا من أنفسهم طبقة متميزة و بدأوا يأخذون باعتبارهم الوجوه الأشراف و يحرصون على كسب ودهم و تأييدهم، و جعلوا لهم مكانة خاصة فلا تجري عليهم الأحكام أحيانا، و كلمتهم مسموعة و نفوذهم واضح. إلى جانب هذه الطبقة نجد طبقة العامة، وتشمل صغار التجار و أصحاب الحرف و الفلاحين و هناك أيضا طبقة العبيد و هم من السود و الصقالية[1].

كان يسعى لكسب ثقة الناس بتعيين القاضي الذي يرضونه لكنه كان يسمح للقاضي بنشر المساواة و العدل إلى الحد الذي يرضي الناس و لا يهدد الإمامة [2].

ب–الحرية:

عرفت تيهرت كبار التجار و صغارهم و في هذا دليل على الحرية التي كان يتمتع بها سكان تاهرت، يلاحظ وجود مشرفين على الأسواق في تاهرت يطوفون في الأسواق لمراقبتها و هذا يعني أنهم كانوا يسيرون على مبدأ الحرية الاقتصادية المقيدة.[3]

1ـــ ابن الصغير ،المصدر السابق ،ص 27،ص 54

2ـــجودت عبد الكريم ، المرجع السابق ،ص 55

وضمت تيهرت مختلف القوميات من بربر و عرب وفرس و الديانات السماوية، و مختلف المذاهب، و كان الرستميون كثيرا ما يعقدون الحلقات للبحث و المناقشة.

كتلك التي دارت بين الإباضيين و الواصلية، كما درج العلماء الإباضيون دعوة الأئمة السنيين إلى تاهرت للمناقشة وكان من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قربوه و ناظروه ألطف مناظرة و هذا يعني أن تاهرت قد عاشت حرية فكرية، وقد ذكرنا سابقا أنه كان لإباضي تاهرت حرية اختيار قضائهم لكم لم تكن لهم مثل هذه الحرية في اختيار أئمتهم، بمعنى وجود حرية سياسية مقيدة، و مما تقدم نخلص إلى القول بأن تاهرت قد اعتمدت في سياستها على مبدأ الحرية المقيدة.

وضمت تيهرت مختلف القوميات من بربر و عرب و فرس و الديانات السماوية، و مختلف المذاهب، وكان الرستميون كثيرا ما يعقدون الحلقات للبحث و المناقشة.

كتلك التي دارت بين الإباضيين و الواصلية، كما درج العلماء الإباضيون دعوة الأئمة السنيين إلى تاهرت للمناقشة و كان من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قربوه و ناظروه ألطف مناظرة، وهذا يعني ان تاهرت قد عاشت حرية فكرية، وقد ذكرنا سابقا أنه كان لإباضي تاهرت حرية اختيار قضائهم لكن لم تكن لهم مثل هذه الحرية في اختيار أئمتهم، بمعنى وجود حرية سياسية مقيدة، ومما تقدم نخلص إلى القول بأن تاهرت قد اعتمدت في سياستها على مبدأ الحرية المقيدة[1].

ج-المصلحة:

لم تكن الدولة الرستمية ملتزمة بمبادئ كمذهب الالتزام، لأن من أتوا بعد عبد الرحمان آثروا مصلحتهم الخاصة، فاهتموا بالحياة الدنيا، واشتغلوا بالتجارة عن نشر المذهب حتى أصبحوا كبار الأثرياء، و أظهروا ذكاء و دهاء سياسي، و لم يتورعوا عن اتباع سياسة فرق تسد و التأريش بين القبائل، و لجئوا إلى المصاهرة أحيانا و لجئوا أيضا إلى دفع الهبات و الصلات أحيانا ميكيافلية (الغاية تبرر الوسيلة) تمثلت باستعانتهم بالمسيحيين، تركت هذه السياسة بصماتها على المجتمع

[1]-جودت عبد الكريم ،المرجع السابق ،ص55.

التاهرتي فبدل أن يعمل الرستميون على إذابة العصبية ومحوها، عملوا على إذكاء نارها، فنمت روحها وكثرت المنازعات فأثرت على علاقتهم بجيرانهم وحددت مسارها باتجاه المسالمة وحسن الجوار.[1]

د-المسالمة و حسن الجوار:

كانت تيهرت على علاقة سلمية أو على الأقل ليست عدائيةوكان من المتوقع مع الاختلاف مع الاختلاف السياسي والمذهبي أن تقع حروبا بينهما إلا أن المصلحة والرغبة الصادقة في المعيشة المشتركة الهادئة سيطرت عليها، و كان هذا شأنها مع أدارسة المغرب الأقصى وصفرية سلجمانية وأموي الأندلس و لم تستطع رمال الصحراء الكبرى أن تقف حاجزا أمام مصلحة الرستميين، فتمكنوا من إقامة علاقة طيبة مع أهالي السودان الوثنيين، وسارت قوافلهم التجارية بين تاهرت و السودان.

وترتب عن سياسة حسن الجوار هذه أن دول المغرب لم تنهك قواها فيما بينها فظهرت علاقات شرعية، عبرت عن روح وحدة المغرب الإسلامي، و عملت على نشر الإسلام و العروبة وربط المشرق بالمغرب، وأوجدت بتنافسها حركة حضارية واسعة كما حافظ الرستميون[2] على وجودهم بجانب أنظمة مخالفة لهم سياسيا و مذهبيا.

ثانيا:الإمامة:

أ-لغة:

هي أَم القوم وأَم بهم أي تقدمهم، والإمام كل من إِئْتم به القوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين، والإمام ما ائْتم به رئيس وغيره والجمع أئمة، وأممتُ القوم في الصلاة إمامة، إئْتم به أي اقتدى به، وإمام القوم المتقدم لهم، ويكون الإمام رئيس كقولك إمام المسلمين3، وقد

[1] ـــجودت عبد الكريم ،المرجع السابق، ص ـــ56 ص55

[2] - جودت عبد الكريم ،نفسه ،ص57

[3] - ابن المنظور، المصدر السابق، ج1، ص133-134.

وردت لفظة الإمامة في القرآن الكريم مفردا وجمعا لقوله سبحانه وتعالى: و إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال و من ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين"[1] و قال عز وجل: "و نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين"[2] كما وردت بصيغة المفرد لكنها تفيد الجمع وهذا في قوله عز وجل: والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا و ذرياتنا قرة أعين و اجعلنا للمتقين إماما"[3]

ب –اصطلاحا:

الإمامة هي منصب من مناصب الحكم في المجتمع الإسلامي، خضعت لتعاليم الإسلام ونظمه ومقرراته، وإن كلمة الإمام أكثر ما كانت تقترن بموضوع الصلاة، فالناس يقتدون بإمامهم في كل ما يقول أو يعمل أو يقرر حتى شاع هذا المعنى على ألسنة العامة في مختلف الأجيال[4].

والإمامة في نظر الإسلام دين ودولة تجتمع في آن واحد بين طرفي الدنيا والآخرة لذلك عرّفها الماوردى":الإمامة موضوعة لخلافة النبوية في حراسة الدين وسياسة الدنيا"[5]

وكذلك يعرفها ابن خلدون في قوله":نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنياوية تسمى خلافة وإمامة والقائم بها خليفة وإماما فأما تسميته إماما فتشبيها بإمام الصلاة في اتباعه والإقتداء به[6]"

وأما الإمامة عند الشيعة واجبة وهي جزء من أصول عقيدتهم ولا يتم الدين إلا بها، وتجب بالنص لشخص من الأشخاص من ألبيت عن الرسول صلى الله عليه وسلم فالدليل الدال على

---

[1] –البقرة، الآية 124

[2] –القصص، الآية 5

[3] –الفرقان، الآية 74.

[4] –حسين الحاج حسن، النظم الإسلامية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 1987م، ص157.

[5] –أبي الحسن بن محمد بن حبيب بن الماوردي، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، تح أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة ، الكويت، 1989م، ص39.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص239.

وجوب النبوة يدل على وجوب الإمامة[1].

ج_ تعريف الإمامة عند الإباضية:

يعرفها صابر طعيمة نقلا عن محمد بن يوسف أطفيش[2] الإباضي" هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص وهي خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة الدين وحفظ الإسلام[3].

وهي تعهد لمن هو أهل لها على أن يفرض على كافة إتباعه وطاعته ما لم يأمر بمعصية الخالق، فالمهمة الأساسية هي إقامة الدين وتطبيق أحكام الله والمحافظة على وحدة المسلمين والدفاع عن الأمة وهي مهام الرسول صلى الله عليه وسلم من بعد البعثة إلى حين وفاته فكل من تولى هذا المهام يعتبر خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم في رعاية شؤون الأمة[4]

وهي عند الإباضية فرض بالكتاب والسنة، والإجماع، ويقول ابن اطفيش وتنصيب الإمام العادل واجب، والدليل على وجوبه توقف الواجب عليه من الأمر و النهي وإقامة الحدود والقيام بالعدل والإنصاف وردع المعتدي، والإمامة عند الإباضية حق لكل مسلم إذا توفرت فيه صلاحية الدين والإستقامة على أمر الله وخدمة الحق والعدل، ومن ثم فليس بشرط عندهم أن تكون الخلافة من قريش، بل تنصيب الإمام فيما يعتقدون يجوز لمن كان فيه صفة الولاية

فكل من ولي لله في حكمه الظاهر يجوز نصبه إماما من غير فرق[5]

ويجب أن تتوفر فيه شروط وهي الديانة والدراية والغيرة والهمة والشجاعة فالديانة إحكام ولايته والغيرة لحمايته في محلها، والهمة لإنقاذ الأمور وألا يكون له أية رغبة في أن يكون

---

[1] عدون جهلان، المرجع السابق، ص75.

[2] هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح اطفيش، ولد ببني يسقن سنة 1236هـ-1818م و توفي سنة 1332هـ-1914م و يعتبر من كبار علماء الإباضية. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1980م، ص19،20.

[3] صابر طعيمة، الإباضية عقيدة و مذهبا، دط، دار الجيل، بيروت، دت، ص136.

[4] عدون جهلان، المرجع السابق، ص 72-73.

[5] -صابر طعيمة، نفسه، ص 136.

الملك في عشيرته[1].

ولقد ذكر ابن الربيع شروط التي يجب أن تتوفر في الإمام ومنها:

1. الأبوة وهو أن يكون من أهل بيت الملك، قريب النسب ممن ملك قبله.
2. الهمة الكبيرة وحصول ذلك بتهذيب الأخلاق.
3. الرأي المتين وحصول ذلك بالبحث والنظر في تدابير السلف وأخبارهم.
4. المصابرة على الشدائد.
5. المال الجم وذلك باستعمال العدل في الرعية.
6. الأعوان الصادقون وحصول ذلك بالتلطف بهم ودوام الالتفات والإكرام، وبهم يشتد عضد الملك ويقوى قلبه[2]

نرى أن الإمامة عند الإباضية تشبه قليلا الإمامة عند أهل السنة لأنها تقوم على أساس البيعة، أما الإمامة عند الشيعة فهي منصوصة بنص وهي واجبة وحصروها على أل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم

د- أنواع الإمامة:

أ-إمامة الظهور:

ويقول فيها الدرجيني هي" تولية إمام عدل يسند إليه الأمور[3] والهدف هو إقامة الدولة العادلة[4]، ودليل مشروعيتها لقوله تعالى: يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين و لكن المنافقين لا يعلمون"[5]

[1] -صابر طعيمة، المرجع السابق، ص 137.

2- شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تح عارف أحمد عبد الغني، دط، دار كنان للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، ص95-96.

[3]- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص6.

[4] صالح معيوف مفتاح، المرجع السابق، ص 111.

[5] المنافقون، الآية 8.

وأما الشرط الموجب فهو توفر القدرة الكاملة في العدة والعدد، وفيما يخص نوع السلطة هو تأسيس الرعية وتنفيذ أحكام الشرع، ومثال على ذلك هو ظهور الدولة الرستمية بتيهرت[1].

ب- إمامة الدفاع:

وهي مرحلة تأتي بعد الظهور في قول الدرجيني" :إن يدهم أهل الكتمان بداهمة فيولوا عليهم من يدفع عنهم العدو[2]" وهي أقل مرتبة ودرجة وفضلا، والهدف هو الدفاع عن الدين ومحاربة الفساد[3]، أي إعلان الحرب على ما سواهم ولو كانوا من المسلمين وفق ما قام به الإباضيون في إفريقية وعمان واليمن، وبالتالي فإن ما تعنيه الإباضية بالدين هو المذهب الإباضي، وأسلوب العمل هو المجابهة بالقوة بعد التحدي والتحرير، وأما فيما يخص نوع السلطة فإن الإمام يعزل بانتهاء الحرب[4].

ج -إمامة الشراة:

تأتي في المرحلة الثالثة وهي تتفق مع الدفاع من حيث الأهداف المتعلقة بالإطاحة بالسلطان الجائر وتصحيح الأوضاع السياسية و الإجتماعية وكذا المطالبة بتنفيذ أحكام الشريعة، لكن تختلف وإياها في أسلوب التغيير وطريقة تنفيذ العمليات، حيث يعتمد الشراة في تحركاتهم على الحيلة والمباغتة والعنف من أجل تغيير المنكر وتصحيح الأوضاع في أوساط الدولة الفاسدة، وسميو شراة لأنهم باعوا أنفسهم بالجنة، ويشترط الإباضية عند خروج الشراة معلنيين ثورة ضد الحكم وأن يكون عددهم من أربعين فما فوق[5] .

أما الشرط الموجب هو تسلط حاكم جائر أو عدوا كافر، وأما نوع السلطة فالقائد مؤقت ينتصر أو يموت، وأما فيما يخص الدليل الشرعي فقد ورد في قوله تعالى: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعد عليه حقا في التوراة

---

[1]- صالح معيوف مفتاح، المرجع السابق، ص 111.

[2] -الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص6.

[3] -عدون جهلان، المرجع السابق، ص 88.

[4]- صالح معيوف مفتاح، المرجع السابق، ص 112.

[5]- عدون جهلان، المرجع السابق، ص 90.

والانجيل و القرآن و من أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم[1].

د–إمامة الكتمان:

وهي المرحلة الرابعة، وهي أدنى درجات الجماد في سبيل الله، وفيها تفتر القوة وتضعف النفوس، فيعجز المسلمون عن رد المظالم وإنكار المنكر، بالقلب فترض الأمة بالواقع وتستسلم لحكم الجبابرة ولا تجد سبيلا للثورة ضد الحكم، فيضطر ذوي الغيرة على الدين إلى كتمان أمرهم وانعزالهم بعيدا عن المجتمع الفاسد، ويوجهون نشاطهم لأمورهم الداخلية ويكونون بذلك قد دخلوا مرحلة الكتمان[2] وقد وردت في قول الدرجيني" :ملازمة الأمر سرا بلا إمام[3]

والهدف هو المحافظة على الدين وإصلاح المجتمع، أما نوع السلطة فهي اجتماعية وهو ما يعرف بنظام العزابة الذي ظهر بعد سقوط الدولة الرستمية[4].

ونرى أن هذه الإمامة مقتبسة من عند الشيعة واستعملوا مبدأ التقية.

ه –الإمامة في الدولة الرستمية:

ظهرت بمبايعة عبد الرحمن بن رستم، وكان ذلك بموافقة أهل الحل والعقد، ومن مشايخ المذهب واجماع جمهور الإباضية ووفقا لشروط الإمامة في الفقه الإسلامي[5]، وكان ذلك بموضع تيهرت القديمة حيث انعقد مجلس روؤساء الإباضية وقالو في حوار دار بينهم " قد علمتم أنه لا يقيم أمرنا إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا وينصف مظلومنا ويقيم لنا صلاتنا ونؤدي إليه زكاتنا ويقسم فيئنا فقلبوا أمر فيما بينهم فوجدوا كل قبيل منهم فيه رأس أو رأسان أو أكثر يدبر أمر

[1]– التوبة، الآية 111.

[2]– عدون جهلان، المرجع السابق، ص 92.

[3]– الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص6.

[4] – صالح معيوف مفتاح، المرجع السابق، ص 113

[5] –محمود اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في المغرب الإسلامي دار العودة ،د ط،1976 ص262.

القبيل ويستحق أمر الإمامة فقال بعضهم": أنتم رؤساء ولا نأمن من أن يتقدم واحد على صاحبه فتفسد نيته ويكثر الاختلاف ويقل الاتلاف[1] ومن خلال هذا الحوار

تتضح الظروف التي بويع فيها عبد الرحمن بن رستم ،حيث كان رؤساء الإباضية يتطلعون إلى شخصية فريدة بين البربر لا قبيلة تحميها ما ظهر عدم صلاحيتها للحكم أو حادة عن طريق الله في السياسة والسلوك[2].

وكان عبد الرحمن الشخصية التي يتطلعون إليها فقالوا": هذا عبد الرحمن ابن رستم لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له تحمه وقد كان الإمام أبا الخطاب رضى لكم عبد الرحمن ... قاضيا وناظرا فقلدوه أموركم فإن عدل فذلك الذي أردتم وإن سار فيكم بغير عدل عزلتموه و لم تكن له قبيلة تمنعه ولاعشيرة تدافع عنه."

وقد راعى رؤساء الإباضية وشيوخهم عندما اختاروا عبد الرحمن بن رستم إماما للدولة كل القواعد التي جاءت في المذهب الإباضي حول اختيار رئيس الدولة، وطبقوا شروط البيعة، وفي قول الشماخي أن رؤساء الإباضية" :اتفق رأيهم على عبد الرحمن لفضله وكونه من حملة العلم ...ولكونه عامل أبي الخطاب على إفريقية وما ولاها ولأنه لا قبيلة له تمنعه إذا تغير عن طريق العدل"، ويبدو أن فقهاء الإباضية أرادوا أن يضعوا شروط مثالية لإختيار إمام دولتهم[3]فالفضل الذي تحدث عنه الإباضية في هذا النص يوازي العدالة، التي تعني الكمال الأخلاقي بسلامة الإعتقاد والجوارح والتزاهه في التصرفات الشخصية، وأما كونه من حملةالعلم، فالعلم شرط أساسي يجب توفره في الشخص المرشح للإمامة، وأيضا في طبقة أهل الإختيار، أصحاب الحق في انتخاب الإمام أو الخليفة في البيعة الخاصة، أما الشرط الثالث و هو كونه عامل أبي الخطاب على إفريقية فهو شرط يمثل فكرة التعيين أو الوصية، التي تحولت إلى مبدأ الوراثة بعد ذلك في تسلسل منصب

[1]- ابن الصغير، المرجع السابق، ص29

[2] -محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 265

[3] -سعد زغلول، المرجع السابق، ج2، ص300.

الإمامة في أبناء عبد الرحمن بن رستم إلى نهاية الدولة[1]أما المبدأ الرابع وهو أنه لا قبيلة له تمنعه إذا تغير عن طريق العدل فهو شرط سياسي،يهدف إلى حماية الإباضية من الإستبداد، كما يطمح إلى تحقيق الإمامة المثالية التي يكون العدل عمادها واجتمعت أراء رؤساء الإباضية على مبايعة عبد الرحمن بالإمامة لهذه الأسباب وقالو له: "يا عبد الرحمن رضيك الإمام في ابتدائنا ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على أنفسنا، فقد علمت أنه لا يصلح أمرنا إلا إمام نلجأ إليه في أمورنا، ونحكم عنده فيما ينوب من أسبابنا فقال لهم إن أعطيتموني عهد الله وميثاقه، لتستطيبوا إلي، وتطيعوني فيما وافق الحق وطابقه، قبلت ذلك منكم، فأعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك[2]"

وهكذا تمت مراسيم البيعة، وأعلن عن قيام الدولة، وأصبح عبد الرحمن بن رستم إماما لها، وقبل وفاته اقتدى بالخليفة عمر بن الخطاب، فاختار ستة[3] من رجال الدولة من أهل التقوى والورع، والإصلاح، وكان من بينهم ولده عبد الوهاب، وأوصى هؤلاء بالاجتماع والتشاور لاختيار إمام من بينهم، وكان الهدف من ذلك تولية ابنه عبد الوهاب بالإمامة، وقد كان ذلك أشبه ما يكون بالوصية من عبد الرحمن لولده، وإن أخذ في مظهره مراعاة تقاليد المذهب الإباضي من الناحية الشكلية في البيعة الخاصة، والتي تكون بين الرجال الستة[4]

وكان احتفاظ بأبناء البيت الرستمي على رأس هذه الدولة، سبيلا إلى احتفاظهم بمكانتهم والملاحظ أنه في عصر الأئمة الأقوياء حرص هؤلاء الأئمة على تعيين أو الوصية لأبنائهم، فعبد الرحمن عين ابنه عبد الوهاب ضمن الستة المترشحين إلى الإمامة، وعبد الوهاب أوصى صراحة بالإمامة لابنه أفلح[5]، حيث يذكر ابن الصغير" :لقد استحق أفلح الإمامة، فكان أول يوم عقدت له الإمامة[6].

---

[1]- محمد عيسى الحريري،المرجع السابق، ص224.

[2]- سعد زغلول،نفسه، ج2، ص301.

[3]- ابن الصغير، المرجع السابق، ص 30-31.

[4] -و هم مسعود الأندلسي، أبو قدامة، يزيد بن فندين اليفراني، مروان الأندلسي، عبد الوهاب بن عبد الرحمان، أبو الموافق سعدوس، ابن عطية، شكر بن صالح الكتاني. الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص46.

[5]- عيسى الحريري، المرجع السابق، 226.

[6]- ابن الصغير، المرجع السابق، ص55.

أما في عهد الأئمة الضعفاء، فلم يعد الأمر بحاجة إلى الوصية أو التعيين لأن الأمر كان بين يد القبائل، وجماعات العجم[1] من الفرس[2]، وكذلك الجمعات المساندة للبيت الرستمي، حيث أن أحد زعماء الإباضية وهو عبد العزيز بن الأوز[3]، كان معترضا على هذا التطور الذي ساد الدولة الرستمية، وكان يصرخ بأعلى صوته موجها كلامه إلى رجال نفوسه قائلا:

"الله سائلكم يا معاشر نفوسة إذا مات واحد، جعلتم مكانه آخر و لم تجعلوا الأمر للمسلمين وتردوه إليهم فيختارون من هو أتقى وأرضى، فلا يلتفتون لكلامه[4]"

و-مجلس الشورى:

كانت الدولة الرستمية جمهورية إسلامية تقوم على الإمامة التي توجب أن ينتخب الشعب انتخابا حرا نزيها لرئيس الدولة، وأن تقوم الدولة على حكم الشورى فيرجع الإمام في كل معضلات الدولة التي لم يبث فيها الدين بحكم ظاهر فيستشيرهم ويعمل بما يجمعون عليه أو بما تجمع عليه أغلبية مجلس الشورى، حيث أن مجلس الشورى يجسد مبدأ ديمقراطية السلطة في نظام الحكم في الدولة الرستمية، والمجلس هو أعلى هيئة سياسية في البلاد، وهو ممثل الشعب لدى الحكومة[5].

أما أعضاءه فكانوا من العلماء المتقين، المخلصين الذين لهم دراية بالأمور وحنكة، و ذكاء اجتماعي يجعلهم يهتدون في المعضلات إلى الحلول الصحيحة، ويكونون للإمام بعقولهم ظهيرا لعقله، لذا اشترط الورع، والتقوى والذكاء والعلم في أعضاء مجلس الشورى لأن الدولة الرستمية دولة الدين والعلم، فهي تحترم الشخص الذي يكون متوجا بالدين والعلم الصحيح، ويكون نزيها

---

[1]- العجم و العجم، خلاف العرب و العرب، ابن منظور، المصدر السابق، ج32، ص 2825.

[2] -و هم من أقدم الأمم و أشهرهم قوة في الأرض وكانت لهم دولتين، الدولة الكينية، و بني اسرائيل، ينتسبون إلى ولد نوح، و جدهم الأعلى هو فرس أرضهم بالإيران، ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، دط، ص 180-181.

[3] -من علماء الإباضية الذين لهم فقه بارع و رحلة نحو المشرق، و يبدو انه صريح لا يعرف المجاملة، كان فصيح اللسان و كان قوي الملاحظة، ابن الصغير، المصدر السابق، ص70.

[4]- نفسه، ص 70-71.

[5]- عدون جهلان، المرجع السابق، ص 120.

ولا تستولي عليه الأنانية والعصبية فتوجهه في أحكامه وتجعله يرشح بسوادها في المجلس، وتؤثر في أحكامه وأفكاره في القضايا التي يفصل فيها والمشاكل التي يحلها.[1]

وكان العلم بالدين أول ما يجب أن يتوفر في أعضاء مجلس الشورى لأن دستور الدولةهو الدين الإسلامي (القرآن والسنة)، لذا يجب التقيد بهما في سياسة الدولة وعدم الخروج عنها، في وضع برامجها وحل مشاكلها وفي حربها وسلمها، فلابد أن يعرف كل عضو من أعضاء المجلس الشريعة الإسلامية معرفة صحيحة لتصلح أحكامه، وتستقيم أحواله، وتوافق دستور الدولة نظرياته[2]

وللمجلس صلاحيات واسعة لا يحق للشعب أن يتدخل فيها ومن أهم صلاحياته ما يلي:

التشريع الإجتهادي في حدوده وبهذا يكون المجلس هو المرجع الأول للإمام في المسائل الإجتهادية، احتيار الإمام وتنصيبه، ومراقبة تصرفاته وأعماله في تسييس الرعية، وذلك في الإطار الديني، الإهتمام بالمسائل السياسية والعلاقات الدولية، ومساعدة الإمام في حل المشاكل، إصدار القرارات الهامة كإعلان الحروب أو الهدنة في السياسة الحربية وإعلان التقشف، وتحديد الميزانية في السياسة الإقتصادية، والإتصال المباشر بالشعب قصد التعرف على مشاكله وأحواله ومطالبه، كما يقوم بدراسة تقارير الولاة والقضاة والعمال، ورؤساء الشرطة وإصدار الأحكام والمناسبة والفصل في النزاعات، والمجلس له الصلاحية في عزل الإمام من دون تردد إن هو حاد عن طريق الحق[3]، والدولة الرستمية حين تقيم مبدأ الشورى إنما ترمي بذلك تطبيق المبادئ الإسلامية والعمل بما جاء في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:"فبما رحمة من الله لنت لهم و لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعفوا عنهم و استغفر لهم و شاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين"[4]

[1]- محمد علي دبوز،المرجع السابق، ص 289.

[2] نفسه، ص290.

[3] -عدون جهلان، المرجع السابق، ص 120-121.

[4]- آل عمران، الآية 159.

ثم أن الإمام لا تكتمل مؤهلاته إلا إذا كان مشاورا أهل المشورة في أموره، كيف لا والمشورة مبدأ ميز الله به المؤمنين عن غيرهم، وهو ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.

وقد اشترط مجلس الشورى في الإمام التواضع، و قبول النقد، ورحابة الصبر والاختلاط بالشعب، كما يقوم علماء الدولة، امتحان الإمام فيرون هل هو متصف بالتواضع، كما يجب، وهل يخلو صدره من تكبر الملوك، لأن هذه الصفة أكثر بلاء يصيب الدولة، وأكبر علة تجلب إليها الأمراض فتؤدي إلى سقوطها،لذلك يمتحن مجلس الشورى إمام الدولة في التواضع، فهو الشرط الأول الذي يجب أن يتوفر فيه، ففي عهد الإمام أفلح بلغت الدولة الرستمية أوج عظمتها وعزها، وكان أعظم شخصية في المغرب، لقوة شخصيته ودينه وغزارة علمه، وفروسيته وشجاعته، حيث كان علما من أعلام المغرب، وكان معه مجلس الشورى وعلماء الدولة وخاصتها.[1]

لذا ينبغي على أعضاء مجلس الشورى أن لا ينقسموا إلى جماعات ولا يشكلوا كتلا حربية داخل المجلس، لأن الإسلام يأبى تحزب أهل المشورة، وأفضل طريقة لإبداء الرأي هو أن يتبنى كل واحد وجهة نظره ويدلي برأيه بصفة فردية على أن يكون محميا بحصانة سياسية لانتمائه إلى هيئة رسمية.

[1]- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 290.

المبحث الثاني: النظم الإدارية

أولا–الوزارة:

إن اسم الوزارة مشتق على ثلاثة أوجه أحدهما أنه مأخوذ من الوِ زر وهو الثقل لأنه يحمل على الملك أثقاله، والثاني أنه مأخوذ من الو زر وهو الملجأ[1]، ومنه في قوله تعالى:" كلا لا وزر"[2] أي لا ملجأ فسمي بذلك، لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته، والثالث أنه مأخوذ من الأزر وهو الظهر، لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر ولقد ورد ذكر الوزارة في القرآن الكريم لقوله تعالى:" ولقد ءاتينا موسى الكتاب و جعلنا معه أخاه هارون وزيرا"

وكذلك اتخذ الرسول (ص) على ابن أبي طالب كرم الله وجهه وزيرا له وقيل أن لفظ الوزارة فارس معرب، وتعتبر من أهم المناصب في الدولة بعد الخلافة وهذا من خلال ما ورد في قول ابن خلدون" :الوزارة أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة فإذن الوزارة مأخوذة من المؤازرة وهي المعاونة".

و لقد بدأت الوزارة من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان كبار الصحابة يقومون لدى الرسول صلى الله عليه وسلم مقام الوزراء وكذلك الشأن في عهد الخلفاء الراشدين ولكن لفظ الوزير لم يكن يعرف بين المسلمين ولما آلت الخلافة إلى بني أمية استمر الخليفة يستعين

ببعض رجال العرب المشهورين بالدهاء فكانوا يقومون بعمل الوزراء دون أن يطلق عليهم ذالك، فلما انتقلت الخلافة إلى العباسيين وكانت لهم صلات خاصة بفرس، استعاروا منهم كثير من نظم الحكم ومنها الوزارة إن الوزير في الدولة هو مستشار الإمام، ومساعده وناصحه، ونائبه وهو الإنسان المقرب للإمام يلازمه، فيتدارس معه المسائل السياسية وكل ما يتعلق بتدبير شؤون الرعية، وإن مهمة الوزير هي القيام بمصالح ملك وهي أربعة :عمارة بلاده وتقويم أجناده، وتثمير مواده، وحياطة رعيته[3]و من صفات الوزير، أن يكون حسن العلم بالأمور الدينية، كما يجب أن

[1]– الماوردي، المصدر السابق، ص 33.

[2]– القيامة، الآية 11

[3]– عدون جهلان، المرجع السابق، ص 122.

يكون حسن العقل وشديد العلم، بليغ القلم، حميد الأخلاق معتمد الخير والصلاح، قليل اللهو بطئ الغضب، كريم الطبع، كتوم السر، صبورا محتملا، صحيح الجسم والرأي، جيد الفكر، ظاهر البشركما أوكلت للوزير عدة واجبات للقيام بها وهي أن يكون خبيرا بأدب التدبير والسنن و الفرائض والأحكام، وأن يكون ناصحا للملك بكل أمانة وصدق، وأن يجعل نهاره للنظر في أمور العامة وليله في النظر في الأمور الخاصة، وينبغي أن يوكل بنفسه من يرفع أخباره إليه فيتفحصها في خلوته، كما يجب أن يكون مراقبا للعامة والخاصة حتى يعرف أخلاقهم وأحوالهم، ويحسن اختيار من يستعمله في أعمال الملك إن الدولة الرستمية مثلها مثل الدولة العباسية تأثرت بتقاليد الفرس ونظمه، فجعلت للوزارةاختصاصات معينة وقواعد مقننة من أهمها، الإشراف على الشؤون المالية، فالوزير هوالمختص بحسابات الدولة من دخل وخرج، و نفقات، وهذا كان يتطلب منه دراسة واسعةبإيرادات الدولة ومواردها الإقتصادية في مختلف الأقاليم والأمصار حيث لا خلاف بين الإباضيين والعباسيين في ضرورة اتخاذ الوزير لما له من دور كبير في الحكم، لكن الفرق يظهر جليا في أن الوزير العباسي يأخذ منصب رئيس الحكومة بمعنى أنه يملك صلاحيات غير محدودة للتصرف في شؤون المملكة، وقد لا يكون وجود الملك إلا شكليا، بينما الوزير الإباضي مختلف عن ذلك فصلاحياته محدودة في الإستشارة وإبداء الرأي والنصح والتحذير، إما أن يصدر القرار وينفذ باسم الملك، فلا أعتقد أنه يجوز له ذلك، ثم إن الوزيرالإباضي مراقب من طرف مجلس الشورى، وهو معرض في أي وقت للتغيير إذ أحدث مايوجب ذلك، بينما الوزير العباسي لا مراقب له، بل يتمتع بتفويض من الملك بتصرف بموجبه كما يشاء في شؤون الدولة[1]. والوزير الإباضي كما يراه أطفيش هو يمين الإمام ودليله إذا صلح الوزير صلح الإمام وإذا فسد الوزير فسد الإمام، ولذلك يتشدد في اختيار من يصلح للوزارة، وينبغي للإمام أن يحسن اختيار وزيره، فإذا اختاره أحبه وقربه وجعله موضع ثقته، قال الإمام عبد الوهاب في وصف علاقته بوزيره السمح" :إن السمح وزيري، وأخص الناس بي وأحبهم وأنصحهم لدولتي[2]"، ومثال حي للوزير المثالي في الدولة الرستمية هو أبا

[1]- عدون جهلان، المرجع السابق، ص 122.

[2]- سليمان باشا الباروني،المرجع السابق ص 70

اليقظان محمد بن أفلح الذي كلفه أخوه أبا بكر بن أفلح بمهام الوزارة بعد رجوعه من المشرق فكان يقوم بشؤون الدولة الكبرى، كالنظر في رسائل العمال والولاة...وفض المشاكل التي يرفعها إلى الإمام، مراقبة مال الدولة وصرفه في وجهه، وقراءة البريد السياسي الذي يأتي من الملوك والأمراء والإجابة عنه[1] وكان يتخذ أعلى مسجد في المدينة مجلسا له لمباشرة أعماله، فمن تكلم إليه من الناس بين العمال والقضاة وأصحاب الشرطة نظر في ذلك نظرا شافيا وأجرى الحق على من رضي وسخط عظم قدره أو صغر، و لم تأخذه في الله لومه لاءم وفي آخر النهار يتصل بالإمام، ليخبره عن أحوال الرعية وأحداث اليوم فإذا كان الصباح أخبره بأنباء الليل ونحن نرى أن الوزارة لم تظهر في الدولة الرستمية كمنصب مستقل كما ظهرت في الدولةالعباسية بل كان وزير بمثابة مستشار أو مساعد إمام فقط[2].

ثانيا: الولاة:

هم نواب الإمام في النواحي التي يشرفون عليها، حيث أنهم كذلك ينبغي أن يكونوا في مستوى الإمام من حيث التأهل والكفاءة سواء من الناحيتين الجسمية أو الخلقية أو الفكرية، ولذلك يؤكد الإباضية على أن القول في أحكام الوالي كالقول في أحكام الإمام، وأن القول في جابي الزكاة كالقول في الإمام ولا ينبغي للإمام أن يجابي قرابته على غيرهم وحرام عليه تعيين أبناء أسرته في مناصب الدولة ويغفل عليهم أحد محاباة فعليه لعنة الله، وإذا حدث أو ولى الإمام عاملا ظالما فإنه يستتاب مع إصلاح ما أفسد وإلا يحارب ويعزل وعلى الإمام مراقبة ولاته وجباتهم ومحاسبتهم في أعمالهم بل حتى في ممتلكاتهم تطبيقا لمبدأ من أين لك هذا؟ فلا يحق للوالي قبول العطايا إلا إن كان من الإمام جزاء له عن حسن سيرته[3].

إن وظيفة الوالي أو الحاكم أو العامل من الوظائف الهامة التي كانت قائمة في الدولةالرستمية بحيث أن الأئمة في تيهرت هم الذين كانوا يعينون الولاة في الأقاليم، وكمثال على

[1] -الباروني،نفسه، ص 107. محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 489-490.

[2] -الباروني ،المرجع السابق ،ص70

[3] -عدون جهلان ،المرجع السابق ،ص124

ذلك جبل نفوسة، حيث أنها كانت تأتي على رأس هرم السلطة في هذه المنطقة، فهي الوظيفةالأساسية التي كانت محل نزاع وجدال وتجاذب بين الأئمة الرستميين في تيهرت وجبل نفوسه، وكان التراع حول من له الحق في اختيار الوالي من الأهالي في جبل نفوسة من عامة الناس أو تعيينه من قبل الإمام، ولم يكن في عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم ولا والي على جبل نفوسه، ولقد ارتبط ظهور أول والي على الجبل في عهد الإمام عبد الوهاب[1].

أ-ولاية السمح بن أبي الخطاب:

بعد أن أمضى الإمام عبد الوهاب سبع سنين في جبل نفوسة وتوصله إلى معاهدة مصالحة مع بني الأغلب في طرابلس سنة 196 هـ 812 م، وعند عودته إلى تيهرت اجتمع إليه أهل الفضل والصلاح من نفوسة وغيرهم فسألوه أن يولي عليهم واليا قبل سفره يقوم بشؤونهم، ولم يرتضوا إلا بالسمح ابن عبد الأعلى بن أبي الخطاب بن السمح المعافري، وهو ابن إمامهم أبا الخطاب إمام طرابلس 140 ه 757 -م[2] وكانت معارضة الإمام أو عدم موافقته في أول الأمر على هذا بحجة أن السمح كان وزيره وأخص الناس به وأحبهم إليه وأنصحهم لدولتيه وبذلك فهو لا يصبر على فراقه

و فيما يخص تاريخ اختيار والي لجبل نفوسة فالمصادر لم تتناول هذا الموضوع، ولكن من خلال نسق الأحداث التي سادت، وهي توقيع معاهدة السلام في طرابلس مع الأغالبة سنة 196هـ 812م، فربما يكون تعيين السمح في آخر هذه السنة أو في أول السنة اللاحقة ه 812 -م، حيث نرى أن عبد الوهاب بن رستم قد رجع إلى تيهرت بعد حصار طرابلس وكانت طريقة تعيين هذا الوالي قد تمت باختيار من أهل الجبل وخاصة من أهل العلم والفضل والصلاح، وبموفقة الإمام عبد الوهاب على رأي هؤلاء العلماء3وسلطة الوالي هي سلطة الإمام تقريبا أو من ينوب عنه في ممارسة اختصاصه نظرا لبعدالمسافة بين الولاة وحاضرة تيهرت، وأن المصادر الإباضية لم تزودنا بتفاصيل

[1] -صالح معيوف مفتاح، المرجع السابق، ص153.

[2] - الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص142.

[3] -الباروني ،المصدر السابق ،ج2،ص70

عن مهام الوالي وعن وجود مجلس استشاري ثابت يرجع إليه في ذلك وما ورد في نص الدرجيني نجده لا يعطي من جلية الأمر شيء حيث قال:" فلما ولى السمح على حيز طرابلس أحسن فيهم السيرة وعدل في أحكامه فصلحت أحوالهم، فلم يزل مقرا (بإمامة)عبد الوهاب وناصحا له في رعيته حتى حضرته الوفاة، وقد كان عماله على نواحي طرابلس سالكين مسلكه في حسن السيرة[1]

وما ذكره الدرجيني هو عبارة عن شهادة حسن السلوك حيث أنه لم يعطينا صورة واضحة عن كيفية إدارة الحكم، وأما الباروني فيذكر" :وعدل في الأحكام وساس الرعية بأقوام سياسة ورتب العمال والقضاة ورجال الشرطة من أمناء الأهالي في النقط المهمة ومراكز العمران وفق مرغوب إمام" ، وإن هذه الأساسيات هي وظيفة الوالي وعمله، حيث أن مدة الوالي غير محدودة وتنتهي عادة بالوفاة أو العزل، وهذا ما حدث بعد وفاة السمح بن أبي الخطاب الذي لم تعرف مدة ولايته، ولكنها كانت قصيرة، بحيث لم تثر خلالها أية قضايا أو مشاكل.[2]

ب –ولاية خلف بن السمح:

كان لموت السمح صدى عظيما في نفوس الناس الذين أحبوه وعظموه حتى أنهم ائتمروا بأمر العامة من الناس وقال الدرجيني" :وأراد من ليس له بصيرة في الدين ولا نظر في العواقب تولية عليهم"، ولقد تمت مبايعة خلف بن السمح من أغالبية أهل الجبل رغم اعتراض علماء المذهب، مثل أبي منيف إسماعيل بن درار ابن الحسن بن أيوب، على هذا الإجراء ولفتهم الأنظار إلى أنه لا يجوز أن يسبقوا إمامهم، ورد الراغبون في تولية خلف بأنه إذا لم يرضى الإمام عنه عزلوه، وبعد أن أعلنوا ولاية خلف عليهم كتبوا بذلك إلى الإمام عبد الوهاب، وكان رد عبد الوهاب على أهل حيزطرابلس ما يلي: إن من ولى خلفا بغير رضا إمامه، فقد أخطأ سيرة المسلمين، وأن من أبى توليته، فقد أصاب ثم أقر كل العمال الذين استعملهم السمح إلا خلفا بن السمح إلى أن يأتيه أمره، كما أمرهم بالتوبة من هذا العمل، وتمسك أنصار خلف به وراجعوا عبد الوهاب فيما كتب

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص67-68.

2 – صالح معيوف مفتاح، المرجع السابق، ص156-157.

به إليهم، وطلبوا إليه أن يستجيب لرغبتهم في تولية خلف، لكن الإمام رفض ذلك مستندا إلى أنه لا يسعه ذلك فيما بينه وبين ربه، وطلب إليهم من جديد أن يتوب، كما أرسل كتابا خاصا إلى خلف يعرفه فيه بأنه حرام على من يقدم إليه صدقات مالية أن يفعل ذلك وأنه حرام عليه أن يأخذها وأمره بأن يعتزل أمور المسلمين[1]، و لم يكن من الغريب أن يرفض خلف وهو حفيد الإمام الأول أبي الخطاب الإعتزال ويأتي ويستكبر، في الوقت الذي تمادى الجهال في توليته، حيث أن الدرجيني يقول في هذا الصدد" حتى يحكم الله فيه وهو خير الحاكمين، وفي هذه الأثناء بعث المخالفون لعبد الوهاب كتابا إلى مشايخ المذهب في المشرق وكان يرأسهم في ذلك الوقت أبو سفيان محبوب ابن رحيل وبالرغم أن ابن الرحيل كتب إليهم أنه يخطئ من لم يوافق عبد الوهاب ويحثهم على طاعة الإمام، لكنهم صرفوا النظر عن جوابه الذي لم يوافق هواهم، وأعلنوا أن عبد الوهاب ليس إمامهم، وقالوا بأنهم يسكنون في إقليم منقطع عن بلاده، مما يسمح لهم بأن يكون لهم إمامهم الخاص وهو خلف، وهذا ما ورد في قول الدرجيني" :وإنما إمامنا خلف، إذ هو في حوزتنا، والحافظ لجماعتنا، والجامع لكلمتنا ، وأما عبد الوهاب فإنه في حوزة غير حوزتنا"

ج –ولاية أبو الحسن أيوب بن العباس النفوسي:

وكانت ولايته بتكليف من الإمام عبد الوهاب حسب الشماخي وقد جاء أمر تعيين أبي الحسن هذا بشكل عاجل من الإمام عبد الوهاب دون الرجوع إلى استشارة أهل جبل نفوسة من العلماء، ولقد كان مشهورا بقوة المبارزة، ولكن ولايته لم تدم طويل بسبب وفاته[2]

د– ولاية عبيدة عبد الحميد الجناوي:

لما توفي أبو الحسن أيوب أرسل أهل الدعوة في الجبل إلى عبد الوهاب يطلبون تولية عامل جديد عليهم، حسبما كانت تقتضي تقاليد الجماعة والمحافظة على الشكليات، وقد أرسل

[1]– الدرجيني، المصدر السابق، ج1 ،ص69.

[2] –أيوب بن العباس النفونسي عاش في النصف الثاني من القرن الثاني من أهل التقى والصلاح واشتهر بالشجاعة والفروسية، وهو أحد الأربعة الذين ذهبوا لنجدة الأمير عبد الوهاب، مقرين بن محمد البغطوري، سير مشائخ نفوسة، تح توفيق عباد . الشروني، د.ط، مؤسسة توالت الثقافة، 2009 ، ص59

الإمام بدوره إلى قادة أهل الدعوة يطلب إليهم ترشيح من يرضون عنه من أفاضلهم حتى يتولى أمور المسلمين ووقع الاختيار على أبي عبيدة عبد الحميد الجناوي، عرف بالصلاح والتقوى والزهد في طلب الدنيا وتولي المناصب، وعندما عرضوا عليه الولاية قال" :أنا ضعيف لست أقدر على قيام بأمور المسلمين"، وكان زهده في الولاية سببا في تمسك الإمام عبد الوهاب به، الذي كان يميل إلى كل من ليست لهم رغبة في الولاية وفي قول الشماخي أن الإمام عبد الوهاب" حلف بالله بلغة العرب وبلغة العجم وبلغة البربر أن لا يقلد المسلمين وأمورهم إلا رجلا يقول أنا ضعيف[1]".

ففي رأي عبد الوهاب أن الشخص المرشح لتقلد مصالح المسلمين يمكن أن يكون ضعيفا في ثلاثة أوجه :ضعف البدن، وقلة العلم و الفقر في المال، مما يعني بطريقة عكسية أن شروط الولاية هي، صحة البدن، كثرة العلم، وفرة المال، وفيما يتعلق بأبي عبيدة عبد الحميد، قال الإمام : إنه إن كان ضعيف البدن قواه الله بالدخول في أمور المسلمين وإن كان ضعيفا بالعلم فعليه الإستعانة بأبي زكريا، أو أحد من أهل الجبل في العلم والفضل، وفيما يتعلق بالفقر،فيمكنه الاستعانة ببيت مال المسلمين[2].

وهكذا ولى أبو عبيدة عبد الحميد على جبل نفوسة وأحسن السيرة بفضل من كان من حوله من علماء الجبل، وفضلائه وزهاده، وعندما علم خلف بن السمح بتولية أبي عبيدة عبد الحميد، أخذته العزة بالإثم واستكبر، حيث عمل على أن يفرض أمر ولايته فقام بدس الغارات واللصوص على أهل الدعوة، في رعية أبي عبيدة، وعندما علم أبو عبيدة بالإستفزازات طلب منه الكف عن أذية المسلمين، ولكن أمام إصرار خلف على أعماله العدائية أرسل يطلب الإذن من تيهرت بمساعدته، وكان رد الإمام عبد الوهاب، أن يستخدم أسلوب الملاينة والملاطفة إلى أن تأتي الفرصة المناسبة لتخلص من خلف ولا يحاربه إلا حرب الدفاع عن النفس والمال، وهكذا كانت الأوضاع في إمامة تيهرت وعلاقتها بجبل نفوسة، وحيز طرابلس حتى توفي الإمام عبد الوهاب في سنة 198 هـــ، وأما عن بقية الولاة في عهد الإمام عبد الوهاب في جنوب إفريقية وطرابلس،

[1]- الشماخي، المصدر السابق،ج1 ، ص159

[2] -الدرجيني، المصدر السابق، ج1 ، ص70

فيذكرهم الشماخي في قوله:وكيل بن دراج عامل الإمام عبد الوهاب على قفصة النفوسي ونسبه من قيد مشايخ أهل الدعوة وهو من بني يخلف، سلام عمروا اللواتي عامل الإمام على سرت ونواحيها، سلمة بن قطفة عامل الإمام على قابس ونواحيها، ومحمد بن إسحاق الخزري عامل الإمام على نفزاوة، وجارون بن القمري عامله وصهره هو زناتي، ونهدى بن عاصم الزناتي، وييران بياعين من بني يزمنت عامله، و لم يذكر الشماخي النواحي التي تولى عليها هؤلاء الثلاثة ويرى محمد علي دبوز أنها في غدامس، وزويلة في جنوب طرابلس، وتوزم في قسطيلية، وهذه النواحي لم ينص الشماخي على عمالها، وهي من الدولة الرستمية، وفي جنوب طرابلس، وجنوب إفريقية التي ذكرنا عمالها، هؤلاء هم عمال الإمام عبد الوهاب في المغرب الأدنى، طرابلس، وجنوب إفريقية إذن من هم عماله في جبل الأوراس؟ وفي شمال تيهرت وغربها وشرقها، وفي تالغمت وورجلان، هذه النواحي الشاسعة التي شملت على مدن كبرى كانت قواعد لجهاتها، إننا لا نعرف عمال هذه النواحي إلا ميمون بن عبد الوهاب، حيث كان في عهد أبيه إماما، ثم أصبح عامله على تيهرت القديمة ونواحيها شرق.

أما عماله الآخرون فلا نعرفهم، لقضاء العبيدين، على كل الكتب التاريخية لدولة الرستمية، وفي عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب، وقعت بين خلف وأبي عبيدة حروب، إلا أن هذا الأخير تمكن من الإنتصار على خلف وتشتيت شمله، وتوفي أبو عبيدة، وتم تولية العباس بن أيوب[1].

٥ –ولاية العباس بن أيوب:

لما توفي أبو عبيدة كتب المسلمون من جبل نفوسة، ومن معهم إلى الإمام أفلح يعزونه بوفاة أبو عبيدة ويطلبون تعيين غيره، فأرسل في الحال أمر الولاية، إلى العباس بن أيوب، ولما وصله التعيين لم يجد عذرا يدفعه للرفض، فجمع أهل الرأي من رجال نفوسة وتلا عليهم فأمنوا حسن مستقبلهم، وضمنوا لأنفسهم الراحة والأمن[2]، ومن هنا ندرك أن الإمام أفلح قرر إتخاذ أمر تعيين والي الجبل بنفسه، وذلك مثلما حدث مع والد هذا الوالي الذي كان واليا على الجبل قبل أبي عبيدة، و لم يترك إختيار الوالي لأهل الجبل من نفوسة وغيرها، كما فعل في إختيار أبي عبيدة الذي تم بإقتراح أهل الجبل وموافقة الإمام عبد الوهاب، ويعتبر العباس بن أيوب هو ثاني شخصية تتولى

[1]– الدرجيني، المصدر السابق، ج1 ، ص77

[2]– الباروني، المصدر السابق،ج2 ، ص163

ولاية الجبل من أسرة العباس نظرا لما اشتهر به من قوة في القتال والمبارزة، ووالده أبو الحسن أيوب وهو من تصدى للواصلية في الجانب العسكري، وهذا فإن ولاية العباس استمرت إلى غاية نهاية مدة الإمام أفلح.[1]

و- ولاية أبي ذرابان[2]

بعد وفاة العباس بن أيوب كتب أهل الجبل إلى الإمام أفلح، يطلبونه بتعين والى عليهم فلب طلبهم فعين أبي درأبان وسيم النفوس من بلدة ويغو، لم تتجاوز مدة ولايته سبعة أشهر، ولا نعلم سبب نهاية ولايته هل هو بالعزل، أو الوفاة، ونتيجة لقيصر مدة ولايته لم تذكرالمصادر الأعمال التي قام به، وكان من ولاة الإمام أفلح بن عبد الوهاب على نفزاوة، ميال بن يوسف اللواتي وأبا ونس وسيم بن يونس[3]على قنطار وما ولاها، وبعد وفاته تولى ابنه سعد وكان ذا فهم وذكاء.

ي-ولاية أفلح بن العباس:

هو أفلح بن العباس بن أيوب بن العباس، لقد تولى جده ولاية الجبل في عهد الإمام عبد الوهاب، وتولى والده ولاية الجبل في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب وكانت ولاية أفلح في عهد الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح، الذي تولى إمامة تيهرت بعد عزل أخيه الإمام أبا بكر عن الإمامة، ولقد ذكر الباروني الكيفية التي تم بها إختيار أفلح واليا على الجبل حيث قال وأتت وفود نفوسة لتقدم عليهم أميرا من أنفسهم ...فقال :أكتبوا أسماءكم كلكم وارفعوها إلي، وأمر الكاتب أن يكتب السجل، ويترك بياضا لموضع المقدم، فلما رفع الكتاب إلي كتب بخط يده إسم المقدم، وطواه وطبعه و لم يعلم أحدا من الناس من قدم، ثم جمع القوم وقال لهم :هاكم السجل ولا تفتحوه إلا بجبل نفوسة إذا بلغتم منازلكم، كما لم يذكر الباروني أن نهاية هذه الولاية كانت طبيعية" وعلى كل فهو بعزل أو استعفاء، و لم يتحدث عن أعماله أو إنجازات.

---

[1]- صالح معيوف، المرجع السابق، ص164

[2]- أبو ذرابان بن وسيم الويغي من العلماء العاملين، كان عاملا على جبل نفوسة، حيث تولى الولاية في عهد الإمام أفلح، كان مجتهدا في طلب العلم، حيث تعلم عند أبي خليل والدرشلي، كان له مجلس علم عند امرأة صالحة فقيهة .الشماخي، المصدر السابق ،ج1 ،ص185

[3]- من جبل نفوسه، حيث أنه كان حسن السيرة، ولاه الإمام أفلح لصلاحيته وورعه.الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص77 .

ر –ولاية أبي منصور إلياس[1]:

تولى أبو منصور إلياس ولاية الجبل بعهد من الإمام أبي اليقطان بن أفلح إمام تيهرت، دون أن تحدد المصادر التي بين أيدينا تاريخ ولايته، ويعتبر أبا منصور إلياس أبرز الشخصيات التي تولت جبل نفوسة، إذ يعتبر حاكم الجبل المطلق في تاريخ عبثت فيه الفتن بمركز الإمامة بتيهرت، وذلك نظرا لما قام به هذا الحاكم من إنجازات عسكرية ضد العباس ابن طولون[2]وضد قبيلة زواغة[3]

مات أبو منصور إلياس في تاريخ غير محدد على وجه الدقة في عهد الإمام أبي حاتم بن أبي اليقظان الذي جدد له عهد الولاية، والإمام أبا حاتم تولى إمامة تيهرت سنة 281 ه 895 – م، لكنه توفي قبل واقعة مانوا التي مني فيها أهل الجبل نفوسة بهزيمة نكراء على يدي الأغالبة وهي سنة 283هـ 897م، حيث كان الوالي على الجبل أثناءها أفلح بن العباس.[4]

وخلاصة القول أن نظام الحكم الإدارة في الدولة الرستمية إتسم بالبساطة الشديدة، فاتخذ الحاكم لنفسه لقب الإمام الذي كان مصدرا لجميع السلطات دينية كانت أم سياسية، وكان يعين من طرف مجلس الشورى الذي يتكون من رأساء الإباضية، أما الوزارة فلم تظهر كمنصب مستقل بل كان الوزير مساعد أو مستشار إمام، وأما فيما يخص الولاة فقد عينهم الإمام في أقاليم الدولة الرستمية.

---

[1] – أبو منصو ر إلياس النفوسي التدميرتي من إحدى قرى الجبل تندميرة المشهورة بالعلم، تولى ولاية الجبل في عهد محمد بن أفلح وابنه يوسف بن اليقظان .الباروني، المصدر السابق،ج2 ، ص119

[2] –العباس بن أحمد بن طولون، قام بمحاصرة طرابلس ثلاثة وأربعين يوما، وفي هذه الأثناء استغاث أهل طرابلس بأبي منصور إلياس والي جبل نفوسة، وانهزم العباس بن أحمد بن طولون وخرج إلى برقه .ابن عذاري، المصدر السابق، ج1 ص119

[3] –هي بطن من بطون البربر البتر، من ولد سمكان بن يحي، بن ضرى، بن زحيك، بن مداغس الأبتر، ويتفرعون إلى ثلاثة بطون هي، دمر، بنو واطيل، وبنوا ماخرين، وأما مواطنهم فهي جبال شلف، وفاس، وقسنطينة، بالإضافة إلى القبائل التي ذكرناها، قبائل أخرى كانت موجودة في الجبل مثل تناوة، زنداجة ...وبعض العرب من معافر اليمن .ابن خلدون، المصدر السابق، ج1 ، ص 170 .

[4] – صالح معيوف، المرجع السابق، ص168، 167

المبحث الثالث: الأئمة الرستميون

كان يطلق على حكام الدولة الرستمية بالأئمة "جمع إمام" و هذا اللقب يسير على الإمام كان حاكما مدنيا أو إماما دينيا على مقتضى الخلافة الإسلامية في العالم الإسلامي، و المذهب الإباضي لا يحصر الإمامة في أسرة واحدة و لكن أهل تيهرت رأوا أن يحصروها في البيت الرستمي لكي لا تنافسهم القبائل البربرية.

لقد تعاقب عدد من الأئمة الرستميين على السلطة في تيهرت حتى سقوطها و كان أولها الإمام عبد الرحمان بن رستم الفارسي.(انظر الملحق رقم 03)

إمامة عبد الرحمان بن رستم (160- 171هـ/776 – 787م):

أجمع المؤرخون أن عبد الرحمان بن رستم من أصل فارسي، و ذكر بعضهم أنه من أعقاب رستم قائد جيش الفرس في موقعة القادسية (145هـ 635م) بينما يرفع بعضهم نسبه إلى بهرام كور كسرى فارس، و كان ابن رستم مولى لعثمان ابن عفان، ثم وفد إلى المغرب مع العرب الفاتحين و يبدوا أنه قدم في أواخر العصر الأموي و استقر بالقيروان بعد أن توفي والده بالحج و تزوجت أمه رجلا من حجاج القيروان، و صحبها معه إلى بلدته التي كانت آنذاك "مصرا" من الأمصار الإسلامية و هناك تلقى عبد الرحمان تعليمه بالقيروان[1].

حيث التقى بداعي الإباضة مسلمة بن سعيد، ثم رحل إلى البصرة مع نفر من أهل المغرب حيث تلقى مذهب الإباضية على يد إمامها أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، و تولى حكم القيروان 144هـ/762م نيابة عن إباضية طرابلس، و لكنه اضطر في نفس السنة إلى الفرار من القيروان إلى المغرب الأوسط.[2]

إن المؤرخ ابن الصغير المعاصر لبني رستم بين لنا الأسباب التي أدت إلى انتخاب عبد الرحمان بن رستم إماما، قال: لما نزلت الإباضة مدينة تيهرت و أرادوا عمارتها اجتمع رؤساؤهم فقالوا: قد علمتم انه لا يقيم أمرنا إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا و ينصف مظلومنا من ظالمنا ويقيم لنا

[1]- عبد العزيز سالم،المرجع السابق ص452.

[2]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ص227.

صلاتنا و تؤدى إليه زكاتنا و يقسم فينا، و قالوا بعدما تشاوروا: و لكن هذا عبد الرحمان بن رستم لا قبيلة له يشرف بها و لا عشيرة له تحميه، فأجمعوا رأيهم على ذلك[1]

فقاموا إليه بأجمعهم: يا عبد الرحمان راضيك الإمام –أبو الخطاب– في ابتدائنا، و نحن الأن نرضى بك و نقدمك على أنفسنا فقد علمت أنه لا يصلح أمرنا إلا إماما نلجأ إليه في أمورنا و نحكم عنده فيما ينوب من أسبابنا، فقال لهم إن أعطيتموني عهد الله و ميثاقه لتستطيبوا إلي و لتطيعوني فيما وافق الحق و طابقه، قبلت ذلك منكم، فأعطوه عهد الله و ميثاقه على ذلك و شرطوا عليه مثلما شرط عليهم، و قدموه على أنفسهم و ألقوا بأيديهم[2]

بويع عبد الرحمان بن رستم بالإمامة بتاهرت فأحسن السيرة في حكمه و لم ينقم عليه أحد من رعيته أو من القبائل البربرية، كما أنه بويع بالإمارة من قبل أي في سنة 144هـ/761م3. ثم تلتها المبايعة بالإمامة 160هـ/777م4، و أصبح أول أئمة الدولة الرستمية التي اشتق اسمها من اسمه "رستم".

شرع عبد الرحمان بن رستم بعد مبايعته بتاهرت في العمل على إعلاء شأن الدولة و السهر على رعاية مصالح الرعية5، فعمل على توطيد حكمه و إرساء دعائم دولته الناشئة و مواجهة العراقيل و الصعاب المصاحبة التي تواجه أي دولة في بداية نشأتها باعتبارها أول دولة مستقلة كما ذكرنا فيما سلف سواء فيما يتعلق بسياستها الداخلية أو الخارجية، كما انه كرس جهوده لمواجهة الأعباء الداخلية، متبعا في ذلك سياسة التسامح مع الدول المستقلة المجاورة له حرصا على بقاء عداوته

---

[1]– رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في العهد الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية العهد العثماني ،الجزائر،وزارة الثقافة و السياحة،د ط،1984، ص 80. أبو زكرياء، المصدر السابق، ص53، الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص42.

2– ابن الصغير المالكي ،المصدر السابق، ص27.

3– رابح بونار، المغرب العربي، ص53، مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر القديم و الحديث، ج2، تقديم و تصحيح محمد الميلي، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1359م، ص71.

4 –كل المصادر و المراجع التاريخية تتفق بأن تولية عبد الرحمان بن رستم كانت في هذه الفترة، ما عدا بعض المؤرخين منهم ابن عذارى المراكشي يراها أنها سنة 161هـ777م. أنظر: البيان، ج1، ص197 يرى أحمد بن خالد الناصري السلاوي صاحب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى في ج1، أن عبد الرحمان بن رستم بويع للإمامة سنة 144هـ، ص 115.

5– نهلة شهاب أحمد، تاريخ المغرب العربي، ط1، دار الفكر، ص205.

لعمال بني العباس في إفريقيا، كما صاهر اليسع بن أبي القاسم بم مدرار إمام الصفريين في أقصى جنوب المغرب الأقصى رغبة في مسالة بني مدرار[1].

ولما اطمأن على سلامة دولته من الأخطار الخارجية، شرع في إرساء دعائمها الداخلية، فاهتم بتنظيم شؤون بلاده، و اتسع سلطانه بين القبائل البربرية الكثيرة التي دخلت تحت ولائه و حمايته و على رأسها قبيلة نفوسة البربرية، و ساد الأمن و السلام في كامل دولته، سلك الإمام في الناس سبيل العدل والإنصاف[2] لأنه كان على جانب عظيم من العلم و العمل و العدل و الزهد، و بلغ من زهده أن رد على أهل المشرق ما بعثوا به إليه من عشرة أحمال ذهبا، و قد سبق أن قبل منهم مثلما قبل ذلك في بداية تأسيس الدولة[3] وهذا ما أثبته ابن الصغير بقوله: "لما ولي عبد الرحمان بن رستم ما ولي أمور الناس شمر مئزره و أحسن سيرته و جلس في مسجده للأرملة و الضعيف، ولا يخاف في الله لومة لائم، فطار ذلك في أطراف الأرض مشارقها و مغاربها"[4].

كان عبد الرحمان لا يشيد برأي و إنما كان يشاور أهل الرأي و النظر في مجلس الشورى، فانتشرت سيرته الحسنة في المشرق الإسلامي فكثر أنصاره و مؤيدوه في المغرب و العراق و مصر، واعتزت إباضية البصرة بهذه الدولة المستقلة في المغرب الأوسط، حيث تحققت بها أمنيتهم في قيام إمامة على المذهب الإباضي لها قوتها و سلطانها. فبعثوا له بثلاثة أحمال من أموال[5].

لما وصلت رسل البصرة إلى تيهرت جعلوا يسألون عن دار الإمام و قد تركوا الأحمال بخارج المدينة، فلما وصلوا الدار وجدوا الإمام عبد الرحمان بن رستم منشغلا ببناء سقف بيتهو معه عبد يناوله الطين، فطلبوا من العبد أن يأذن لهم الإمام، فنزل عبد الرحمان و أذن لهم و دخلوا فسلموا عليه، و أمر بخبز و سمن فقدم بين أيديهم فلما أكلوا استأذنوا لتناجي عنه فأذن لهم فتناجوا و اتفقوا أن يدفعوا له المال و إنهم راضون ما عينوه من أحواله، و لما وصلت الأموال، قام الإمام

1- محمود اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في المغرب الإسلامي، ص112.

2- عبد الله الباروني،المرجع السابق، ص85.

3- نهلة شهاب أحمد، المرجع السابق، ص207.

4- ابن الصغير المالكي،المصدر السابق، ص28.

5- عوض خلفيات، المرجع السابق ص10.

بمشاورة أصحابه فيها فطلبوا منه أن يأخذها و يبني صرح الدولة و ما تبقى منها تقسم على فقراء المجتمع و في عهده تحسنت أحوال الرعية و شيدت دعائم الدولة و تقوت، و عم الرخاء أرجاءها و توسع العمران و غرست البساتين، و إحياء الأموات و أجريت الأنهار، و اتخذت الرحى وزرعت الغلة و غير ذلك و بذلك عظم شأن البلد و اتسعت و أصبح الوفود يأتونها من كل الأقطار[1].

عكف الإمام عبد الرحمان بن رستم عن تنظيم شؤون دولته، و توطيد سلطانها. و هذا إن دل على شيء إنما يدل على عبقريته في الاستفادة من سياسة الفرس في الحكم و الإدارة وفق المذهب الإباضي. و هذا كله ساهم في تطور العمران و نمت التجارة و اتسعت الموارد الإقتصادية.

وكانت أيامه كلها سلما و أمنا، و له من التأليف تفسير القرآن العظيم و ديوان خطب، و رسائل اخوانيات كاتب بها إخوانه و أصدقاءه، و كانت وفاته سنة 171هـ-787م و قد عهد بالأمر بعده إلى سبعة من الأعيان منهم ولده عبد الوهاب و يزيد بن فندين، فانحازت زناتة إلى عبد الوهاب ذلك لأن أمه كانت من يفرن و هم فرع زناتة، كما انحازت إلى جماعة الفرس بدافع العصبية أيضا فكانت النتيجة أن تغلبت فكرة الصلاحية والاختيار بالثورية و أصبح بذلك عبد الوهاب ملكا مطاعا فبايعه الناس[2].

[1]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 33-36.

2-عبد الرحمان الجيلالي،المرجع السابق ، ص227.

ثانيا– إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان(168 –208ه784–823م):

لما مات عبد الرحمان بن رستم، قامت الإباضية فعقدت الإمامة لابنه عبد الوهاب فكان ملكا ضخما و سلطانا قاهرا، و على يديه افترقت الإباضية و افترق كبراؤهم، و تسمى قوم منهم بالنكار[1] وتسمى بعضهم بالوهبية[2]، فقام بالعدل أحسن قيام و أجرى الأمور على أحمد وجه و اتقن النظام فظهر منطوت عليه خلقه السليمة و يسالة كاملا و أرسل في أطراف مملكته و داخلها أوامره الشديدة بالامتثال للأوامر و اجتهاب المناهي الشرعية و رتب العمال و الحكام و القضاة و رجال الشرطة في سائر أنحاء أتباعه فعمهم عدله و شملهم حكمه إلى أن حدث خروج ابن فندين عنه.[3]

أ–خروج ابن فندين عن طاعة الإمام:

لما رأى ابن فندين ما عليه الإمام من حزم و النتقية أرباب الخبرة و العفة و الاستقامة في تعيين الموظفين، و لم يبلغ هو ما كان يأمله من تقديم ونيل بعض مناصب و لم يطق صبرا على ذلك و أظهر الإنكار على الإمام في توليفه لبعض من كان يرى أنه لا ينالون مع وجوده شيء

و قال أن هؤلاء الذين ولاهم أمور ليسوا أحسن منه سيرة و لا أقوى منه اقتدارا على أشغال الدولة و تدبير أمر الرعية بل نحن أولى بالتقديم إذ كنا نحن السبب في أخذ البيعة له و غير هذا من الكلام الذي لم يصب من الناس أذنا صاغية و لم يستمل به قلب أحد و لما علم أن ذلك لا يجديه نفعا قام مطالبا بالشرط الذي تكلم به أولا (مجلس الشورى باصطلاحنا تقريبا)

و تدرج بذلك إلى إنكار الإمامة قائلا أن قد شرطنا عليه أن لا ينهي أمرا دون موافقة جماعة عليه و هاهو قد استقل برأيه و لم يشارك أحدا في شيء و نبذ الشرط و أراءه ظهريا

[1]– النكار: هم أتباع يزيد بن فندين أبو قدامة النكاري، و سمو بالنكار لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان و ثاروا ضده و لقد تطورت هذه الفرقة التي انسلخت عن الإباضية الأم، ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص37.

[2]– الوهبية: هي الإباضية الأم الحاكمة في الدولة الرستمية، و هي نسبة إلى الإمام عبد الوهاب و ظهرت التسمية إثر فتنة النكار، نفسه، ص37.

[3]– عبد الله الباروني ،المرجع السابق، ج2، ص101.

فطاعته غير واجبة علينا لفسخة البيعة بتركه الشرط ثم زاد تدرجا في دركات الشقاق و أعلن بفساد البيعة من مبدئها بدعوى أن في المسلمين (الإباضية) من هو أكثر منه فهما و أغزر علما و أوسع إدراكا و فكرا فلا يجوز تقديمه و لا البيعة له ماداموا موجودين و طفق ينشر هذه الأقوال في المجامع و المنتديات حتى استمال لفيفا من الناس ممن كانوا على شاكلته في المقصد والطبع و أكثروا النجوى و الاجتماع و الدخول إلى المدينة و الخروج منها إلى المنازل و الجبال جماعات يتلو بعضها بعضا قصدا لإثارة الفتنة و تشويشا لخواطر العامة و إرهابا بالنفوس رعاع الناس فأبلغهم الإمام النهي عن ذلك و حذرهم سوء العاقبة إن لم ينتهوا فقالوا للمرسل إليهم من طرف الإمام[1] " هذه مدينتنا و تلك منازلنا فإن عصينا في الدخول و الخروج إليها فليخبرنا الإمام بوجه ذلك فأعرض عنهم و تركهم و شأنهم مع مراقبة حركاتهم و سكناتهم بالتدقيق التام بواسطة الأمناء (البوليس السري في إصلاحنا الآن)[2].

و أقسم النكاريون من بعد أنهم لا يعودوا إلى المدينة إلا إذا عزل القاضي و حوكم الإمام و من معه و لما سمع الإمام عبد الوهاب بأمرهم وجه إليهم إنذارا فلم يأخذوه بجدية عندئذ خرج إليهم بقواته و ألحق بهم شر هزيمة حيث قتل منهم حوالي عشرة ألاف من بينهم زعيمهم يزيد بن فندين و كان سبب هذه البلبلة و التحريض عليها هو يزيد بن فندين أحد الرجال الذين رشحهم عبد الرحمان بن رستم للإمامة فلما لم يختاروه إماما حاول الانتقام من عبد الوهاب بخلق مشاكل له لكن النكارين اجتمعوا من جديد و اغتنموا الخلاف الذي شب بين عبد الوهاب و قبيلة هوارة فانضموا إلى هذه الأخيرة و بالقرب من نهر أسلان التقى الجمعان و دارت بينهما معركة حاسمة خرج منها الإمام عبد الوهاب منتصرا فهدأت الأمور من بعد إلى حين ظهور الواصلية.

1 – عبد الله الباروني ، المرجع السابق، ص102.

2– عبد الله الباروني ، المرجع السابق، ص101.

ب-ثورة الواصلية:

كانت الواصلية هي فرقة من المعتزلة و هي نسبة إلى واصل بن عطاء هو رأس المعتزلة ولد بالمدينة و نشأ بالبصرة، طرده حسن البصري من مجلسه بعث بعدد من رجاله إلى اليمن و الجزيرة و أرمينية و المغرب و غيرها لإذاعة مذهبه و أجابه خلق كثير، له عدد من مؤلفات: المنزلة بين منزلتين، و اتبعته جهات من المغرب وهم قوم من بربر أكثرهم قبائل زناتة لهم رئيس في مدينة قريبة من طنجة.

فاهتدت رجال هذه الفرقة إلى تأليف القلوب و بث روح تعارف بين أفرادها و اتحدت كلمتهم و توجد رأيهم فقامت تشق عصى طاعة تآسيا بابن فندين و تطلب الاستقلال و خروج عن حكم الإمام زاعمة أنها في درجة يمكنها أن تحكم نفسها بنفسها و أن تقوم بإدارة شؤونها

و كأنها رأت من العار عليها خضوعها لمخالفين لها في المذهب[1] .

يظهر أن ثورة النكار شجعتهم على مناوشة الإباضية فبدءوا يتجرؤون على مناظرتهم

و مبارزتهم، و لما تبين للإمام عبد الوهاب أنه لا يستطيع أن يتغلب عليهم، بعث لعامله على جبل نفوسة يطلب منه المدد عندما وصله المدد جمع الإمام أتباعه وسار نحو أعدائه، فاشتبك الفريقان في معركة حاسمة انتهت لصالح الإباضية، و دخل المعتزلة تحت طاعة الإمام، و هدأت له الأحوال.[2]

ج-عصيان زناتة:

رفضت هذه القبيلة الجزائرية مبايعة الدولة الرستمية و أعلنت عصيانها سنة 173هـ/789م، و مدت يدها إلى دولة الأدارسة القائمة يومئذ بالمغرب الأقصى و تلمسان، فنهضت إليها الحكومة الجزائرية لردها إلى الطاعة و سعت لديها بكل وسيلة فلم تنجح و يومئذ

1- عبد الله الباروني ، المرجع السابق، ص116- 117.

2- يوسف بن بكير الحاج سعيد ،تاريخ الإباضية في المغرب الإسلامي من القرن الثاني القرن السابع الهجري ،مطبعة عربية ،غرداية ،1437ه-2016 م،ص 64.

أعلنت الدولة الحرب في وجه القبيلة و خاصة منها بطن مغراوة و بني يفرن فلم يجد الحكومة ذلك نفعا و استمرت زناتة على عصيانها خاضعة للأدارسة إلى النهاية.

د- ثورة بني مسالة:

كانت رئاسة قبيلة هوارة التي تحتل الساحل من برقة إلى قابس، لهؤلاء من بني مسالة فاتفق أن خطب أحد رؤسائها يد بنت رئيس من رؤساء قبائل البربر بالجزائر بقصد الالتحام مع هذه القبيلة تعزيزا لقبيلته، فحال بينهما الإمام الرستمي خشية تحزب القبيلتين ضده و عقد هذه المصاهرة لنفسه، فغضب لذلك بنو مسالة فهاجموا المغرب الأوسط و حملوا جيوشه إلى ناحية تلمسان.[1]

ه – ذهاب الإمام عبد الوهاب إلى الحج

لما هدأت الأحوال واستقرت الأمور وانتشر الأمن، رأى الإمام عبد الوهاب ان يؤدي فريضة الحج، فأناب عنه ولده أفلح في رعاية الدولة وسار متنقلا بين القرى والبلدان حتى وصل جبل دمر، استعمل عليهم رجلا يقال له فزار .ثم توجه إلى جبل نفوسة وهناك وقف في وجهه جماعة من كبار العلماء ومنعوه من الحج، خوفا عليه ان يقع في قبضة العباسيين وتتعطل بذلك امور الإباضية.بعث يستفتي ابا عمر والربيع بن حبيب ومحمد بن عباد المصري الذين كانوا مقدمين في المشرق في العلم والورع والفضل، فكانت إجابتهما موافقة لرأي اهل جبل نفوسة، فأرسل الإمام من يحج عنه ومكث بالجبل.[2]

و – حصار طرابلس و عقد الصلح مع الأغالبة:

كانت مدينة طرابلس عالية الأسوار شديدة الحصانة قد اعتنى بتحصينها البربر و رومان منذ الزمن القديم فأعجزت عمر بن العاص و الجيش الإسلامي الفاتح فلم يستطع اقتحام أسوارها و تسلق أبراجها، و اعتنى بتحصينها الولاة الأمويين و الولاة العباسيون استعدادا لمثل هذا اليوم

[1]- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص229.

[2]-يوسف بن بكير الحاج سعيد المرجع السابق ،ص64

لتعصيمهم و بنى هترمة ابن أعين الوالي العباسي على إفريقيا و طرابلس سور المدينة بما يلي البحر فصارت في غاية الحصانة.

إن العباسيين قد أرغموا هوارة بسيف على خضوع لهم فلا بيعة في أعناقهم لملوكهم تحرم عليهم الثورة لقد قرر مصيرهم فخرج إليهم عباسي فهجم عليهم فدافعوا عن أنفسهم، فاهو إبراهيم بن الأغلب يرسل إليهم جحافه، و ابنه الذي سيرتكب فيهم كل ما يسول له حقده على الإمامة الإسلامية و كل ما يدفعه إليه مجازه القاسي الذي يتلذذ بارتكاب كل فضائل في عدوه، إن هوارة مظلومة و الأغالبة بغاة ظالمون.[1]

فنصر هواة التي ألقت بنفسها في حجر الإمامة عبد الوهاب و طلبت حمايته واجب عليه في الدين، و ما تفرضه عليه شهامة الدولة الرستمية و قوتها، فأشار الإمام إلى نفوسة و غيرها من رعيتها في طرابلس بالاستعداد فزحف إلى عبد الله بن براهيم بجيشه فعلم عبد الله بأن لا قدرة له بالوقوف في وجهه و في وجه هوارة، و دخل مدينة طرابلس الحصينة فغلق أبوابها و احتمى بأسوارها العالية، فحاصره الإمام عبد الوهاب و شدد حصاره عليه و كان لا يستطيع الخروج منها و الرجوع للقيروان.

إن الإمام يرصده و كانت كبريائه و بطولته نفسه تأبى عليه التسليم و فيما هو في بلاء الحصار إذ جاء خبر بموته أبيه إبراهيم بن الأغلب و كان هو وارث عرشه فيريد الرجوع إلى القيروان قبل أن يسطو أحد من أولاد أبيه و عائلته على كرسي الإمارة

فأرسل إلى الإمام عبد الوهاب يطلب الصلح فأصطلحوا على ما أراد الإمام و ما أرادته هوارة أن يكون الساحل كله من جنوب صفاقس إلى خليج سرت للدولة الرستمية، و مدينة طرابلس و البحر لدولة الأغلبية، إن الدولة الأغلبية دولة بحرية و أسطولها أكبر من المغرب، فتستطيع أن تتصل بالمشرق من جهة البحر فالبحر ضروري لها و قاعدة طرابلس البحرية لازمة لأسطولها الكبير،

[1] –ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق،ص120-121

فرضى الإمام بذلك ففك عنه الحصار فرجع ثوار إلى بلاده و قد تحقق مثلها الأعلى و خفقت الراية الرستمية البيضاء في سمائها و نالت العزة و الكرامة بتقرير مصيرها و انضمامها إلى الدولة الرستمية العادلة و أصبح ساحل الذي كان أغلب سكانه إباضية جمهوريين يتمسكون بالإمامة الإسلامية كله للدولة الرستمية، فمن جنوب مدينة صفاقس في وسط قطر تونس اليوم، إلى خليج سرت أصبح كله جزء من الدولة الرستمية فاتسعت حدود الدولة الرستمية بهذا شرقا و انضمت إليها كل البقاع التي كان أغلب سكانها جمهوريين و الذين طالما جادبوا الحبل الأغالبة لينضموا للدولة الرستمية فمنعوه، و أرغموهم بالقوة على الخضوع و انضم إليها غربها من بل فرجع الإمام إلى جبل نفوسة فأرسل العمال إلى مدن الساحل كما عين من قبل الولاة الأكفاء لجنوب إفريقيا.[1]

ثالثا–الإمامة أفلح بن عبد الوهاب (209–240هـ/ 826–854 م):

هو أبو سعيد ميمون الأفلح أطول أئمة هذه الدولة مدة في الملك، بويع إثر وفاه أبيه عبد الوهاب سنة 190هـ – 805 م، كان يسلم عليه بالخلافة كما ذكره ابن فقيه الهمذاني، و كانت أيامه كلها أيام رغد و يسر و هو أحد أئمة الدولة البارزين و العلماء العارفين ذو أدب و إطلاع واسع و شعر رقيق و متانة في الدين، كانت له مواقف حاسمة رد بها على ثوار جبل نفوسة،

و هو تارة يسلك معهم مسلك اللين و اللطف و تارة يأخذهم بالشدة و العنف و كان الانتصار حليفه دائما.[2]

وصلت الدولة إلى أوج عظمتها فقد ابتنى الأغنياء قصور ضخمة و اتخذوا الضياع الواسعة و استكثروا من العبد و الحشم و اتسع نطاق التجارة اتساعا عظيما إلى حد أن بعض التجار كان يملك سوق قائمة بنفسها و على عهده كثر المسافرون عن طريق الصحراء للاتجار

و استجلاب التبر و ضربة دراهم و دنانير لتعامل.

[1]–محمد علي دبوز،تاريخ المغرب الكبير ،ج3،ص442،443

[2]– عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ص 230

وبقي سلطان هذا الإمام ممتد حيث الحدود التي و صلتها المملكة على عهد والده لم يخالفه في تيهرت أحد في أمر و نهي، بسبب ما مهد له والده و مما أقام هو من عدل و رأفة واجتهاد في كل ما يعود على الأئمة بالسعادة و الرفاهية [1].و لم يقطع الهدوء الذي ساد بلاد الرستميين إلا استمرار خلف بنالسمح بالثورةعلى الإمام[2].

أ – فتنة خلف بن السمح:

لما بلغ خلف وفاة الإمام عبد الوهاب و تولية أفلح، استكبر و لم يقر بإمامته، فاتبع معه أفلح سياسة قوية عندما تبين أن خلف متماد في عصيانه و لما شن خلف الغارات على رعايا الإمام، واستباح الأموال وخرب الديار و قتل الرجال أعد له أبو عبيدة الجناوني جيشا بموافقة الإمام

و تشتت شمله فهزمه في 13 رجب 221هـ فلم تقم له قائمة بعد ذلك إلى أن قضى نحبه[3].

ب -خلافة نفاث بن نصر نفوسي:

إن فرج نفوسي المعروف بنفاث بن نصر قد أظهر مخالفة الإمام أفلح لنفس السبب الذي خلف به ابن فندين و ابن السمح و هو طمع في الوظائف الحكومية، و ذلك أن الإمام عين سعد بن أبي يونس و سليم التمازيني عمل على قنطرارتو أما نفات فلم يعينه في شيء مع أنه كان رفيق لسعد في طلب العلم بتيهرت و كان يعتقد في نفسه أنه أعلم منه و أقدر على إدارة الشؤون فغاضه من الإمام هذا التصرف و أثار في نفسه الحقد و الغيرة تفضيل سعد عليه فانتحل مسائل نفسه فمنها إنكاره خطبة في الجمعة مدعيا أنها بدعة و ظلال، ومنها إنكاره استعمال الإمام العمال لجباية حقوق شرعية و سعادة لجباية حقوق شرعية، و منها قوله ابن الأخ الشقيق أحق بالميراث من الأخ للأب.

و قد كان عالما ذكي الفؤاد، إلا أن قوة حكومة و مكانة الإمام في الأمة كانتا أعظم أسباب في إحباط مساعه و عدم توقفه، فلم يستطع أن يوقد نار حرب كسلفيه يزيد و خلف[4].

---

[1]–البارون ي ،المرجع السابق ،ص44

[2]–عبد العزيز سالم ،تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ،ص272

[3]–بن دريسو مصطفى بن محمد ،الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن 3ه،ص100

[4]–البارون ي ،مختصر الإباضية ،ص45

وقد تولى نفس الإمام نصيحته برسائل طويلة الذيل بليغة التركيب تنطق بعلة كعب الإمام في علوم الدين و السياسة و الأدب و اللغة، يحذره فيها من سوء العاقبة، إن لم يتب من ظلاله و إظلاله و أخيرا أنذره على لسان ولائه بإنزال صارم العقاب إن لم يرتد (أنظر الملحق رقم 02).

فخاف و توقع شرا إن هو بقي على إصراره فتوجه إلى ديار شرقية ثم قصد بغداد عاصمة بني عباس فما لبث أن حظي لدى حكومتها بسبب حله معضلة استعصت على علماء بغداد و تعذر حلها عليهم و كان عزيز عالم مفرط الذكاء[1].

وسعى جاهدا أمام الخليفة العباسي للحصول على نسخة من ديوان جابر بن زيد ولما تم له ما أراد، أتى بالنسخة (7 أحمال) إلى طرابلس، فوجد دولة الإمام أفلح في قوة عظيمة، إذ ذاك علم أنه لا مطمع له في شيء مما كان يقصده بالخروج عن الطاعة، و رأى أن السكون أسلم، لكن نفسه سولت له أن يعدم ذلك الديوان، حتى لاينتفع به أحد، فحفر له في الأرض و دفنه، و أخلد إلى السكون إلى أن مات[2].

أما علاقته بالخارج فإنه كان على صفاء و اتصال ودي مع خلفاء الأندلس الأمويين و مع السودان أيضا تربط بينهم جميعا أواصل التجارة و وحدة الهوية أيضا ويظهر ذلك جليا في حفاء الإمام للدولة الأغلبية المجاورة التي هي من صنائع الدولة العباسية , فإنه لما بني أبو العباس محمد بن الأغلب[3]مدينة العباسية بقرب تيهرت سنة 227هـ-841م هدمها الإمام أفلح و أحرقها و كتب في ذلك إلى صاحب الأندلس يتقرب بذلك إليه فبعث إليه هذا بمائة ألف درهم، فانتقم لذلك العباسيون بالقبض على ابنه أبي اليقظان حيث قدم إلى الحج وأدعوه في السجن ببغداد فحزن الإمام على ولده و لم يزل مهموما إلى أن توفى سنة 204هـ 854م وقبل سنة 258هـ 871م وتولى بعده ولده الثاني أبوبكر[4].(انظر الملحق رقم 02)

[1]- الباروني ،المرجع السابق ،46

[2]-يوسف بن بكير الحاج سعيد ،المرجع السابق ،ص73

[3]-عبد الرحمان الجيلالي ،المرجع السابق ،ص230

[4]-نفسه،231

رابعا–إمامة أبي بكر بن أفلح(240–241/854م):

بعد وفاة الإمام أفلح رحمه الله اجتمع حسب العادة أهل الحل و العقد من نفوسة و غيرهم ممن انتخبوه من العلماء و الوجهاء و عقدوا الإمامة لابنه أبي بكر إذ كان هو المترشح لها بعد أبياليقظان لو كان موجودا لما أتم أمر البيعة و أعلن للعامة أنكر بعض الناس ذلك و رأوا أنه غير أهل لها و عابوا نفوسة باستقلالهم بهذا الأمر[1].

فلما ولي أبو بكر لم تكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيض قبله من أبائه، و لكن كان سمحا جودا يسامح أهل المروات يحب الأدب و الأشعار و أخبار الماضين و كان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة و كان وسيما جميلا و كان قد وفد على ملك السودان الصوصو بهدية من قبل أفلح بن الوهاب فعجب ملك السودان مما رآه من هيبته و جماله و فروسيته[2].

أ– مصاهرة الإمام أبي بكر لابن عرفة و ما نشأ عنها من فتن:

و كانت لابن عرفة أخت أو بنت لها من الجمال الباهر و حسن الخلقة ما هو مشهور في تلك الأقطار في ذلك الزمان ولأبي بكر أخت كذلك فتزوج كل منهما أخت الآخر فنال ابن عرفة عند أبي بكر المترلة العليا من الاقبال الحياه حتى صار الرأي في مهمات الأمور كلها بيده، فكان ابن عرفة إذا ركب من داره يتبعه في ذهابه و إيابه من ذوي الحاجات و الدعاوي ما لا يحص من الناس حتى عاد كأنه هو الإمام و لا ذكر لأبي بكر فضاقت لذلك صدور أهل الحل و العقد من الرستميين و من غيرهم من أرباب الإصلاح و رأوا أن ذلك مما يؤدي إلى الاستهانة بأمر الإمام و إلى تضييع حقوق العباد[3].

و إن مثل ذلك لم يعهد في سيرة السلف و ربما خيف باستمرار ذلك الحال من حدوث حوادث يصعب حل مشكلاتها فتغيرت القلوب و تبدلت الأفكار من العامة و ساءت الظنون بأبي بكر إلا أنه لم ينشأ عن ذلك ما يكدر راحته أو يوجب الاختلاف و التفرق بل بقيت الكلمة مجتمعة و الدعوة واحدة و الرأي متفق بقي الحال ساكنا لا حرب ولا نزاع و لا خرج عن طاعة الإمام.

---

[1]–الباروني ،المرجع السابق ،ص222

[2]–ابن الصغير ،المصدر السابق ،ص61،62

[3]–الباروني ،المرجع السابق ،ص223،224

و العمارة زائدة و التجارة رائجة و إن وقعت بعض المشاحناتو التنافر بكثرة الأموال و الأتباع بين القبائل و لا سيما بين هوارة فانحاز قسم منها يعرف ببني أوس القبائل الأخرى و إنحاز القسم الآخر

ب –رجوع أبي اليقظان من بغداد:

و في هذه الأثناء عاد أبو اليقظان من بغداد فوجد الحال على ما وضعناه و لم ينكر على أخيه شيئا و لم يدع إمارة و لم ينتحل خروجا طلبا للسلامة و حقنا للدماء بل لم يقنع بذلك حتى أدى مع أخيه واجب الطاعة و الانقياد و شمر عن عضد الجد في إعانته و إصلاح شؤون ..... على نسق ما رآه من الاجراءات الشرقية و نشرح له كل ما شاهده و ما سمعه من سياسة ملوك الشرق بني العباس و غيرهم، و أعمالهم الملكية فارتاح أبو بكر لذلك و كان ميالا إلى الراحة و الرفاهية و..... المطعم و الملبس و حب الرياضة فأقبل على أخيه أبي اليقظان و صرف إليه النظر في الأمور و سلم له المقاليد لما ظهر له فيه من الكفاءة و الاقتدار و النصح و الأمانة و كان شهيرا بالورع و الصدق فقبل منه ذلك بطيب نفس و انشراح صدر وجد التحسينات النافعة و الإنشاءات الخيرية وضبط الأمور على أتقن وجه و أسلم نظام[1].

وكل ذلك و محمد بن عرفة في ذوي و صيت عال لا ينظر أبا اليقظان في حزبه ولا في طائفته و لا بالناحية التي هو بها و لا ينظر له بهيبة و إجلال و حذر و كان محمد بن عرفة إذا أتى باب أبي بكر لم يحجب و كان أبو بكر لم يحجب إذا كان أبو بكر في مجلسه أو في حرمه و كان أبو اليقظان و جميع أخوة أبي بكر و أعمامه لا يدخلون على أبي بكر إلا بالاستئذان و كان محمد بن عرفة على غير ذلك.

فتوقع أولو البصيرة منه الميل عن مركز الاستقامة و الحيادة عن منهجالانقياد و الانحياد عن الطاعة و لكنهم لم يتوصلوا إلى عرض حقيقة حاله على أنظار أبي بكر لشدة حجابه و ولوعه به و لا زالوا يترقبون فرصة الوصول إليه لتنبيهه إلى أن جمع رجال دولته و خواصه ذات مرة للمذاكرة معهم في بعض شؤون و لما اجتمعوا عنده و خلا لهم المجلس و أنهت المذاكرة هما اجتمعوا لأجله فتحوا الإمام باب البحث عن أحوال ابن عرفة و ما هو عليه من العظمة و ازدحام الناس عند بابه و اتباعهم إياه رائحا غاديا و ما يتوقعونه عن سوء عاقبة ذلك الإمام بجهل ذلك

[1]–الباروني ،المرجع السابق ،ص225–224

كله و هو لا يعلم بشيء مما حكوه عنه فعاتبوه عن التغافل عن مثل ذلك و عن عدم الاعتناء به و الاحتياط لدفعيبحثونه ربما تزعزع أركان الإمامة و يختل نظام الهيئة الحاكمة و عرضوا عليه ما ظهر لهم في الرأي في ذلك و أظهروا له ما لديهم من الرضا بالأحوال الراهنة الجارية بحسن مساعي أبي اليقظان الذي صرف عنايته الكاملة و أبدى غيرته الخالصة في موجبات الاصلاح و تسديد الأمور[1].

فلما سمع الإمام أبا بكر بهذا الكلام فزع و عزم على قتله. و يقول المؤرخ ابن الصغير في كتابه عن حادثة القتل ما يلي:" أرسل أبو بكر إلى محمد بن عرفة قائلا له: قد أردت الخروج بالغداة إلى جنان الأمير و أردت الخلوة فيه و القيام به إلى آخر النهار مع صرف الحشم عني و العبيد. واجب أن تأتي بالغلس منفردا فنصطحب جميعا، فامتثل محمد بن عرفة لإرادة الإمام، فلما كان قيسل الصبح ركب محمد بن عرفة من غير أن يعلم أحد من حاشيته و عبيده حتى أتيا موضع منتزههما بجنان الأمير فأقاما يومهما، فلما غربت الشمس قال أبو بكر له: تعال نصلي المغرب، فلما أحرم محمد بن عرفة أشار أبو بكر لغلامه امض إلى ما أمرتك به، فضربه بحربة كانت بيده بين كتفيه، فخر ساقطا ميتا، فقال أبو بكر لغلامه: احمله على فرسه، و ركب فرسه و مشى بين يدي الغلام، و الغلام خلفه حتى أتى جبلا انقسم نصفين له هوة عظيمة، فقال أبو بكر للغلام: ألقه في المهواة، فألقاه فيها، و التحق أبو بكر بقصره، و لما أبطأ محمد بن عرفة هن أهله أرسلوا رسولا يتقصى خبره لعله في قصر الأمير، فقال لهم أبو بكر أنه لم يره، فبحثوا عنه حتى أتوا الموضع الذي كان فيه مصرعه".

فأدت هذه العملية الدنيئة إلى إشعال نار الفتنة بيم أنصار أبي بكر من جهة و الساخطين عليه بقيادة محمود بن الوليد من جهة أخرى، فاستغل سكان تيهرت من العجم (الأجانب) هذه الفرصة و زحفوا على المدينة لكن سكانها قاوموهم مقاومة شديدة و أرسلوا في نفس الوقت رسلا إلى الجنود الذين كانوا يحاربون أبا بكر ليخبروهم بالخطر الذي يهدد أسرهم في حالة ما إذا استولى العجم عل تيهرت، عندئذ أبرم الجند مع أبي بكر الصلح و اجتمعوا سوية لمحاربة العجم فزحفوا عليهم و قتلوا منهم عددا لا يحصى، كما قاموا بحرق حي في بيوت لنفوسة الإباضية، حينئذ انحاز كل من أبي اليقظان و نفوسة إلى العجم و لكن بالرغم من ذلك انهزموا و

[1]- الباروني ،المرجع السابق،ص226.

أرغموا على الرحيل من تيهرت. و عندما استقر الأمر دخل محمد بن مصالة إلى تيهرت رفقة قبيلة لواتة و هوارة لكن سرعان ما غادرت هاتين القبيلتين المدينة لسبب الحرب التي نشبت بينهما. و كانت تيهرت أثناء هذه الفترة بدون حاكم فاتصل الإباضيون بأبي اليقظان و بايعوه على الإمامة، و دامت هذه الحرب سبع سنوات عاش خلالها الرستميون في جو من الاضطرابات و العنف لم يعرفوه من قبل[1].

خامسا– إمامة أبي اليقظان بن أفلح(241 – 281هـ/855–894):

هو محمد بن أفلح و كنيته أبو اليقظان و كانت إمامته في آخر سنة إحدى و أربعين و مائتين من الهجرة، بعد اختفاء أبي بكر و موته بعد قليل من نشوب الفتنة.

كان إماما فحلا و شهما عظيم بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معنى عادل عدل الخلفاء الراشدين، بويع هذا الإمام و كانت الأحوال أشد ما يتصور من الاضطراب و الفوضى فقد استحكمت حلقات فتنته في أغلب أطراف المملكة فمن ابن عرفة إلى ابن مسالة إلى غيرها من دعاة الثورة و طلاب الشهرة.

لكن عزيمة هذا الرجل العظيم و قوة إرادته و ثقته بالله و بنفسه تغلبت على هذه المصائب كلها فشمر عن ساعد الجد و جيش الجيوش و استنجد بجبال نفوسة فأنجدوه بجيش كثيف ثم حمل بهم على اتباع ابن عرفة قتيل أخيه حملات صادقة متتابعة إلى أن أخضعهم و أخمد فتنتهم، ..... على محمد بن مسالة الإباضي الذي استولى على عاصمة تيهرت و تحصن فيها فلم يخرجه الإمام منها إلا بعد قتال كبير و جهاد عنيف و حصار دام سبعة سنين و لما قهر الإمام هؤلاء البغاة وصف له الجو ولى وجهه نحو الإصلاح و التنظيم فمهد الراحة و بسط الأمن و اتخذ العدل شعار في جميع أعماله و لم يغفل حتى عن جزارين و حمالين فاستعمل عليهم رقباء و هذا شأنه في كل شيء[2].

أ –حرب نفوسة لابن طولون:

من أعاظم رجال الدولة في عهد الإمام أبي اليقظان و إليه على جبل نفوسة و ملحقاته البطل الشهير أبو منصور إلياس النفوسي الذي هزم العباس بن طولون هزيمة منكرة و ملخص الواقعة

[1]– الباروني ،المرجع السابق،ص227

[2]–الباروني ،مختصر تاريخ الإباضية ،ص48،49

و أسبابها: أن العباس بن أحمد بن طولون في غيبة والده عن مصر حدثته نفسه بامتلاك المغرب فجهز سنة (267هـ - 880م) جيشا يتألف من 800 فارس و 1000 راجل من السودان

أبيه يحمل أمتعتهم 5000 بعير و أخذ من بيت مال مصر 800 حمل دنانير و قيل أن مبلغ ما حمل من المال هو مليون دينار و مائتا ألف دينار ثم زحف بهذه القوة و امتلك ما في طريقه من المدن و القرى و تغلب على جميع ما أرسله إليه بنو الأغلب من الجيوش فازداد قوة على قوة بقهره تلك الحملات المتكررة، ثم زحف بجيوشه المنتصرة إلى أن وصل طرابلس فضرب عليها نطاق الحصار مدة قدرها 43 يوما إلى أن تعدى بعض جنوده على حرم البوادي و هم أتباع بني رستم بمقتضى معاهدة عقدت قديما فاستغاثوا بأبي منصور و شاركهم في الاستغاثة أهل طرابلس فأغاثهم بجحفل جرار و قبل زحفه و رد إليه كتاب تهديد من العباس بن طولون هذا نصه: أن أقبل بسمعك و طاعتك و إلا وطئت بلدك بخيلي و رجلي و أبحت حرمك، فأجابه أبو المنصور محقرا له: قل لهذا الغلام أما أنك أقرب الكفار مني و أحقهم بمجاهدتي فقد بلغني من قبيح أفعالك ما لا يسعني التخلف معه عن جهادك و ها أنا على أثر رسالتي إليك، فصحبه على الأثر بنفسه في 12 ألفا من رجال نفوسة و هزمه شر هزيمة و ذهب ابن طولون لا يلوي على شيء وعاد أبو المنصور إلى الجبل تحفه الكرامة و العزة و بدون أن يتلبس هو و رجاله بشيء من الأموال. [1]

و الذخائر التي تركها ابن طولون و استباحها الأعراب و نهبوها و بنو الأغلب و عمالهم سلبوها من الأعراب

سادسا-إمامة أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح(281-249ه/894-906م):

هو يوسف بن محمد و قال مات أبو اليقظان و ابناه غائبان: اليقظان بالموسم و أبو حاتم كان قد أخرجه والده في جيش ليؤمن قوافل قد أقبلت من المشرق و فيها أموال لا تحصى قد خافوا من قبائل زناتة، فبينما أبو حاتم فالقوافل قد خرج إليها إذ وافته حاتم رسل بموت أبيه و عقد الإمارة له، و ذلك أن أباه لما مات اجتمعت العوام و الفرسان دون قبائل فنادوا لا طاعة لأحد إلا لأبي حاتم.

[1]-الباروني ،المصدر السابق ،ص 50

فلما وصل إلى باب المدينة ازدحم الناس بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن يساره فبايعوه، فلما وصل المسجد وقت الظهر، أصعدوه المنبر و بايعوه ثم أرسلوا إلى القبائل فبايعته، فلما كمل أمره و تمت بيعته خلت به عشيرته و إخوته و أبناؤه و بنو أعمامه و مواليه فأحبو أن يجعلو له حجاب و هيبة[1]

و بعد سنة من ولايته خرج عليه عمه يعقوب بن أفلح و كان يبغض الإباضية مع شدود فيه و جمع حوله طائفة من أهل تيهرت و مشيختها فأقصاهم الإمام عن العاصمة ثم عادوا فاقتحموها عليه و أثاروا بها فتنتهم و يومئذ خرج أبو حاتم عن عاصمته فاجتمع إليه أنصاره فزحف بهم إلى العاصمة و ضرب عليها الحصار مشددا عليها الخناق إلى أن اضطر أهلها إلى طلب الكف عنهم و المهادنة فكف عنهم الإمام على أن يسلموا إليه رؤساءهم و كبراءهم فأبوا و حينئذ عادت الحرب إلى ما كانت عليه من قبل و بايعو عمه يعقوب بن أفلح[2].

سابعا–الإمام يعقوب بن أفلح (282هـ / 894م):

بويع بالإمامة و هو بأرض زواغة غربي طرابلس فأسرع حينها إلى مدينة تيهرت سنة (282هـ / 894م) حارب بها أبا حاتم و دامت الحال على ذلك مدة أربع سنوات[3].

و عندئذ تجددت الحرب بين أبي حاتم و عمه يعقوب أياما ضعفت و سكنت بعض السكون، إلى أن تحرك الإمام زحفا بمن معه إلى المدينة من جهة و رجل الموسوم (بوانودي) و من معه أيضا من جهة أخرى فأمر يعقوب بأبواب المدينة فأغلقت فترك واحد ليقف عليه بنفسه، مع من كان معه و دارت الحرب بين الفريقين إلى أن حضر وقت الظهر و نودي في صفوف بالأذان ثم اشتغلوا بالصلاة فتبدلت نية (بوانودي) و من معه و ندموا على قدومه للحرب و تنحوا إلى جهة و لما قضيت الصلاة دار الإمام أبو حاتم برفقة ممن في عسكره ..... إلى جهة شرقية و ترك العسكر بحاله راجيا أن يصيب غفلة من أحد أبواب فيدخل مدينة و لما قصد بابا و كان عارما بالرجال فتحوه و حملو عليهم حملة رجل واحد فتولى منهزم و انصرف (بوانودي) فضعفت الحرب و طمع الناس فالعافية و اشتاقت أرواحهم إلى الصلح فعقد الصلح و انقطع الفساد فانتشر

[1]–ابن الصغير ،أخبار الأئمة الرستميين ،ص91،92

[2]– عبد الرحمان الجيلالي ،المرجع السابق ،ص233.

[3]–الباروني المرجع السابق ،ص272،273

السلم في المدينة أربعة أشهر و أثناء هذه الهدنة ساد الأمن في ربوع الدولة حيث أن أبا حاتم قام باستمالة القلوب إليه و اكتساب مودة القوم فمالت على إثرها الرعية و انقلبت على عمه يعقوب فخلعته فغادر تيهرت نحو زواغة مرة أخرى و عاش فيها حتى سقوط الدولة.

ثامنا– عودة أبي حاتم إلى الإمامة:

عاد الإمام يوسف إلى تيهرت بعد الانتصار على عمه و بويع بالإمامة ثانية و في هذه المرة تصدى أبو حاتم إلى قمع الفتن و تسكين الثوار و رفع شأن العلماء على اختلاف مذاهبهم و نزعاتهم و العناية بإصلاح البلاد و نشر العدل و الأمن بين الناس، فجاءته وفود الخطباء و الشعراء قائمة بين يديه و في الأخير إئتمر عليه منافسوه من بني عمه و إخوته فقتلوه غيلة (294هـ-906-907م) و قيل بعد سنتين من هذا التاريخ[1]، و فر حينئذ أبو سليمان بن يعقوب بن عم ابن حاتم إلى ورجلان فنقلوا الإمامة إلى أخيه اليقظان[2].

تاسعا –إمامة اليقظان بن أبي اليقظان

غدت الدولة الرستمية بعد مقتل أبي حاتم غيلة بأيدي طرف ثالث في الأسرة المالكة، و هم أبناء اليقظان أخيه من الأب سنة(294هـ-1003م) و بعد أن قتلوه ولو مكانه أخا لهم اسمه اليقظان، و هكذا أصبحت حال الأسرة الرستمية، حيث انحدرت في مهاوي الصراعات و المؤامرات الدنيئة و ذلك من علامات فساد عصبيتهم، و انهيار قيمهم، فلم يعد حاكمها يحظى بالاحترام.

و التقدير الذي تحلى به الأسلاف، و هكذا بقي اليقظان في الحكم زهاء عامين، إلى أن جاءت ساعة سقطته المحتومة على يد أبي عبد الله الشيعي سنة (296هـ-908م)[3]. و الذي سهل في الإطاحة بهذه الدولة هو ذلك الانقسام الحاصل بين أبناء الأسرة المالكة، و قد ظهر هذا

---

[1]- رشيد بورويبة و اخرون ،الجزائر في العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني ،الجزائر ،وزارة الثقافة و السياحة ،دط،1984،ص95

[2]- سعد زغلول عبد الحميد ،الإتبصار في عجائب الأمصار ،ص224

[3]-دراجي ،دول الخوارج في المغرب ،ص

من خلال تحريض الأميرة الرستمية داوسر بنت أبي حاتم يوسف بن اليقظان، أبو عبد الله الشيعي على قتل اليقظان و إخوته، ثأرا لأبيها الإمام الرستمي[1].

[1]-أبو زكريا ،سير الأئمة و أخبارهم،ص169،170

الفصل الثالث

العلاقات الخارجية

- العلاقات العائلية
- العلاقات الودية

تأثرت سياسة بنى رستم الخارجية بوضع دولتهم الجغرافي ومذهبها الديني وظروفها السياسية ومصالحها الإقتصادية

فقد كانت دولة صحراوية داخلية ،ولهذا لم نسمع عن نشاط بحري لبني رستم و لم يساهموا في حركة الفتوح التي إحتكرها جيرانهم الأغالبة في الحوض الأوسط من البحر المتوسط .

وقد حتم الوضع الجغرافي لدولة الرستمية وتشابك حدودها مع دول الأغالبة و الأدارسة وبني مدرار ،أن تدخل في علاقات مع هذه الدول على الرغم من جنوح أئمتها إلى العزلة والإنصراف إلى مواجهة مشاكلهم الداخلية ،لقد فرضت رابطة الجوار على بنى رستم أن يحدد و علاقاتهم بأمراء القيروان العباسيين ومن بعدهم الأغالبة السنة والأدارسة العلويين وبني مدرار الصفرية ،أن عداء وأن ودا. وقد تاثرت هذه العلاقات بجانبيها الودي والعدائي

ـــ بما تميزت علاقة الدولة الرستمية مع جيرانها ؟

المبحث الأول: العلاقات العدائية

أولا : علاقة الرستميين بالعباسيين

إرتبطت علاقات الرستميين الخارجية بالعباسيين بعاملين كان ذا أثر كبير في طابع العداء الذي اتسمت به تلك العلاقة:

اولهما:أن العباسيين منذ ألت الخلافة اليهم يعتبرون بلاد المغرب كلها ميراثا شرعيا تركه الأمويون لهم ،وعلى هذا نظرو إلى الرستميين نظرة عداء،وأصبحت هذه النظرة تحكم سير العلاقات بينهما فقامت على أسس عدائية بين الطرفين بإعتباره أن الرستميين إقتطعو جزءا من ممتلكات العباسيين[1].

[1]–عيسى الحريري ،المرجع السابق ،ص 187

وقد وضعت هذه الأسس العدائية موضع التنفيذ أيام مطاردة ولاة العباسيين بإفريقية لعبد الرحمان بن رستم .ورغم أن أهداف عبد الرحمان بن رستم في تأسيس دولة منفصلة تماما عن الخلافة ثانيهما:كان بين العباسيين والرستميين ذلك العداء التقليدي الذي كان بين الخلافة العباسية السنية ،وبين الإباضية بإعتبار أنهم فرقة من الخوارج.[1]

العباسية لم تكن واضحة للعباسيين ،فقد قاوم العباسيون شخصية عبد الرحمان بن رستم منذ اللحظات الأولى التي ظهر فيها على مسرح الأحداث في بلاد المغرب ،لأنه كان في نظرهم خليفة لأبي الخطاب عدوهم اللدود ،لذا حرص محمد بن اللأشعت ـــالوالي العباسي ـــ في القيروان سنة(144ه ـــــ 761م)على القضاء على عبد الرحمان بن رستم بعد قتله لأبي الخطاب ولكن ابن الأشعت ،فشل في محاولته وإنسحب إلى إفريقية تاركا عبد الرحمان بن رستم في مأمنه في جبل سوفجج[2].

ولما لم ينجح العباسيون في القضاء على عبد الرحمان بن رستم ورأو أن خطر هذه الشخصية بات قريبا من ممتلكاتهم في إفريقية ،أمر أبو جعفر المنصور عمر بن حفص عامله على إفريقية أن يحصن قاعدة طبنة ،وفي مواجهة هذه الخطوة من العباسيين حرص عبد الرحمان بن رستم على تكوين تحالف إباضي صخري يضم سائر القوى المعارضة للخلافة العباسية ولكن عمر بن حفص ـــ الذي تولى أمر المغرب سنة (151ه ـــ 738م) ـــ نجح في تمزيق هذا التحالف ،وانفرد بعبد الرحمان بن رستم وقواته وألحق به هزيمته فادحة عند تهوده[3] .

[1] ـــ عيسى الحريري ،المرجع السابق ،ص 187

[2] ـــ الشماخي ، المصدر السابق ،ص 133

[3] ـــ ابن عذارى ، المصدر السابق ،ج 1 ،ص76

ولكنه لم يتمكن من القضاء عليه ،لذا اقتنعت الخلافة العباسية بأنه من الأسلم لها ان تحفظ بنفوذها في إفريقية ،وأن تترك المغرب الأوسط لأن محاولة استرجاعه محفوفة بكثير من الأخطار .ولعل ذلك يفسر مسلك الوالي العباسي روح بن حاتم الذي تولى أمر إفريقية سنة (171ه ــ 788م)[1].

إذ حرص على تحسيين العلاقات بينه كممثل للعباسيين وبين الرستميين فمد يده إلى عبد الرحمان بن رستم إمام الرستميين في تهرت طالبا موادعته ،فوادعه عبد الرحمان بن رستم وكان ذلك في نفس السنة التي توفى فيها علد الرحمان بن رستم (171ه ــ 788م) .

وبعد وفاة عبد الرحمان بن رستم أرسل روح بن حاتم إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم الذي إنتخب إماما بعد وفاة والده ،وطلب روح إستمرار الموادعة فوافق عبد الوهاب على إستمرارها.

وتعتبر هذه الموادعة إعترافا رسميا من العباسيين وممثليهم في بلاد المغرب بسيادة الرستميين على المغرب الأوسط[2] .

وقد تحدثث كتب الإباضية عن شئ من العلاقات التي تمت بطريقة سرية في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم بيت تاهرت وبغداد فقد بعث عبد الوهاب إلى إبن الحبيب بإثنى عشر ألف درهم أو دينار "فشترى بها عبد الوهاب تجار تيهرت ،فاشترو منه جهازه وإشتروا له (أخو الربيع بن حبيب)حوايجه في ثمانية أيام فانصرف راجعا إلى المشرق"على ان الهدوء الذي ساد العلاقات بين الرستميين والعباسيين في عهد عبد الرحمان بن ستم وخليفته عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم ،عاد وتحرك ثانية نحو التوتر ،فعندما أخفق لإمام أفلح بن عبد الوهاب لم يجد مخرجا سوى الهروب إلى المشرق قاصدا بغداد ،وهناك رحب الخليفة العباسي المأمون بمقدمه.

[1] ــ ابن عدارى ، المصدر السابق ، ج 1 ،ص84

[2]–ابن خلدون ،المصدر السابق ،ص412

ومالبثت العلاقات الرستمية العباسية أن بلغت قمة العداء ،وكان ذلك عندما قبض العباسيون في ـــ عهد الواثق العباسي ـــ على محمد بن الأفلح الملقب بأبي اليقظان ،الذي كان يقوم بأداء مناسك الحج في مكة ،ونقل ابو اليقظان إلى بغداد حيث سجن هناك[1].

ولكن هذه العلاقات مالبثت أن وجدت شيئا من التحسس بسبب العلاقة القوية التي نمت بين أبي اليقظان بن أفلح ،والمتوكل العباسي الذي كان مسجونا مع أبي اليقظان ،فما أن اعتلى المتوكل دست الخلافة بعد وفاة أخيه الواثق حتى أفرج عن صديقه أبي اليقظان ،وأكرمه وسمح له بالعودة إلى بلاده . بينما كانت العلاقات بين الرستميين والعباسيين تمضى طريق العداء اثارة والتحسن ثارة ،كانت العلاقات الثقافية قائمة بينهما وظهرت معالم هذه العلاقات الثقافية في صلة القوية بين الرستميين وإباضية المشرق الذين كانو من الناحية المشرق الذين كانوا من الناحية الشكلية من رعايا الدولة العباسية .وكثيرا ماجرت تفاصيل هذه العلاقات الثقافية بين تاهرت والبصرة القريبة من بغداد فعبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم أرسل ألف دينار إلى المشرق إلى إخوانه بالبصرة ليشتروا له بها كتبا ،فلما وصلهم هذا المبلغ فشتروا به رقا فنسخوا له فيها وقر أربعين جملا كتبا فلما بلغته تشمر وجد لقراءتها[2].

وكثيرا مالجأ أئمة من الرستميين وغيرهم من علماء دولتهم إلى علماء الإباضية في البصرة وفي مكة يستشيرونهم فيما قد يظهر لهم من مشكلات سياسية وعلمية ،وكانت رسائل علماء إباضية المشارقة تساهم في حل كثير من المشاكل التي تعرض لها الرستميون[3].

وكان التجار الرستميون لا يحملون إلى الأقطار التي يغشونها سلعهم وحدها ولكن يحملون أخلاقهم الإسلامية .والحماس لدينهم.وأفكارهم الجمهورية التي يغرسها فيهم الدين الحنيف .ويجعلون الحضارة المغربية وعادات المغرب الراقية بالإسلام وحضارة الإسلام وبالحضارات القديمة

[1]-ابن الصغير ،المصدر السابق،ص28

[2]-الباروني ،المرجع السابق،ص164

[3]-عيسى الحريري ،المرجع السابق ،ص191

المتعاقبة عليه .فيبثون كل ذلك في الطوائف التي يختلطون بها في الأسواق ،وفي أصدقائهم التجار الذين يتصلون بهم طويلا في المدن.

وكانت التجارة قديما تفرض على التجار طول الإقامة في المدن التي يقصدها للتجارة .إن بطء المواصلات يستلزم ذلك.فترى التجار يقيمون في القطار التي يقصدونها شهورا طويلة .فيكونون في المدن التي يقيمون فيها بيئتهم الراقية التي يتأثر بها أهل المدينة .فتترك الثار الراسخة في عقولهم وأخلاقهم ،كما يتأثرون هم بالبيئات الراقية فيحملون إلى بلادهم أحسن العادات .واحدث الأساليب في التجارة والصناعة والفنون وكل أنواع الحضارة .

كانت الدولة الرستمية أكبر دولة تجارية في المغرب وكانت هي الرابطة بين دول المغرب وهي صلة المغرب بالسودان .وتشاركها في ذلك دولة بني واسول في سجلماسة [1].

وكان أهل جبل نفوسة وهم من رعايا الدولة الرستمية .ممن كان يقمون بالرحلة إلى السودان للتجارة ونشر الدين الحنيف .وقد اتصل ذلك منهم إلى مابعد الدولة الرستمية بقرون .وإنما ألفو ذلك .ومهد لهم السبيل إليه الدولة الرستمية .ففي عهدها ألفو الرحلة إلى السودان .انظر إلى قصة أبي لحسن على بن يخلف التيمجاري النفوسي ورحلته إلى السودان ونشره الإسلام في البلاد التي حل فيها ،وإسلام الملك على يده ،وانتشار الإسلام في رعيته ،لقد كان ذلك في القرن السابع الهجري وهو مثال لما توالي قرونا من المغرب إلى السودان منذ القرن الثاني والثالث أيام الدولة الرستمية الزاهرة ،وفي توثيق الصلات بين المغرب والسودان ،ومع هاتين الدولتين في العهود الدولة الإدريسية ،فقد كانت من الدول المغربية التي إتجهت إلى السودان فأحدثت فيه أحسن الأثار.

ثانيا: علاقة الرستميين بالأغالبة

إن علاقة الرسمتين بالأغلبية لم تتخذ طابعا عدائيا وأن كلا من الدولتين أدارت ظهرها للأخرى مكتفية بمجرد الدفاع عن الحدود المشتركة، ويعزون ذلك إلى انشغال الأغالبة بالحرب في صقلية بعد أن آمنوا جيرانهم . يشير فترهيدن إلى (عدم انصياع البربر في إفريقية لمحاربة أولئك

[1] -البكري ،المصدر السابق ،ص67

الذين كانوا زملائهم في السلاح بالأمس)، كما يؤكدون أن الرستمين لم يقوموا بعمل عدواني ضد الأغالبة لما اشهروا به من التقوى والمسالمة وعدم الاهتمام بما يدور خارج وانصرافهم إلى شؤونهم الداخلية .

والحقيقة أن دراسة مصادر التاريخ الخوارج تدل على غير هذا ، وتؤكد ما كان لبني رستم من أغراض توسعية، مصداق ذلك استيلائهم على المناطق الأغلبية المجاورة لطرابلس في عهد الإمام عبد الوهاب، وقيام ابنه الإمام أفلح بإحراق مدينة العباسية، وإثارة أئمة تاهرت القلاقل في وجه أمراء القيروان، وعقدهم المحالفات مع الأمويين في الأندلس.

كما حرص الأغالبة على الكيد للدولة الرستمية وإثارة المتاعب في وجه أئمة تاهرت، والإعتداء المباشر على جبل نفوسة معقل الخوارج الإباضية، ومقاطعة دولتهم تجاريا وثقافيا. كل ذلك يدل على أن الأغالبة سلكوا في علاقاتهم مع الرستمين مسلكا عدائيا، تمشيا مع سياستهم في معاداة أعداء الخلافة العباسية. وكانت تلك العداوة تذكيها الإختلاقات الدينية والمذهبية، فالأغالبة كانوا سنة ومذهب مالك ساد دولتهم، والمالكية أشد أرباب المذاهب بغضا للنحل المتطرفة، بينما إنتمى الرستميون إلى مذهب الخوارج الإباضية الذي يقول بتكفير مخالفيه. يضاف إلى ذلك تشابه الحدود بين الدولتين، وعدم وضوح معالمها، حيث أحاطت دولة الرستميين بإفريقية الأغلبية من الجنوب والشرق والغرب مما زاد في فرص الإحتكاكات بينهما[1].

كما أن رعايا الرستميين من القبائل البدوية الذين تمركزوا في القرى الجبلية والواحات كانوا دائمي الترحال حسب الظروف الطبيعية، الأمر الذي أدى إلى ضرورة خلافهم مع الأغالبة.

والواقع أن الأغالبة لم يشكلوا خطرا مباشرا على تاهرت، لبعدها عن إفريقية بمسيرة شهر على ظهور الإبل، إنما ركزوا جهودهم في منطقة طرابلس وجبل نفوسة التي أصبحت مسرحا للحروب والفتن، وذلك أن إفريقية كانت دائما تهددها إغارات النفوسيين والخوراج القاطنين بإقليم طرابلس وعددهم ثلاثمائة آسرة.

وقد حدث أول إحتكاك بين الأغالبة والرستميين زمن الأمير إبراهيم بين الأغلب، وكان معاصرا للإمام عبد الوهاب الذي خلف والده عبد الرحمن بن رستم سنة 172هـ، وسببه أن

[1] -ابن عذارى،المصدر السابق ،ص121

بربر هوارة الإباضية ما فتئوا يثيرون الإضطراب والفتن في وجه ولاة طرابلس من قبل الأغالبة،وكانوا يصطنعون هذه الاضطرابات للإنفصال عن الأغالبة ،والإنضمام للرستميين.ويخيل إلينا أن عبد الوهاب بن رستم هب لتحقيق بغيتهم مستعينا بقوة نفوسه رغم ما تسوقه مصادر تاريخ الخوارج من تبرير تقدمه صوب الشرق بعزمه على أداء فريضة الحج، وتضيف هذه المصادر أن نفوسه أشارت عليه بالبقاء خوفا من مكائد العباسين، وتبرر إشنراكه في حرب بتي الأغلب برغبته في إنقاد هوارة من بطش عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب ولما في إغاثة القادر للمظلوم من الثواب الجزيل ". وقد أوضح أحد مؤرخى الخوارج حقيقة الموقف فذكر أن الإمام ((نزل على مدين طرابلس محاصرا لها، ومحاولا دخولها في الطاعة، والمصير إلى ما عليه أهل الحق)) وفي ذلك دليل قاطع على أهداف الرستميين التوسعية في الأراضي الأغلبية، و لم يكن خروج الإمام لرغبة في أداء فريضة الحج، إذ ليس من المعقول أن يبقى خارج تاهرت قرابة سبع سنوات ينتظر فتوى شيوخ المذهب((بأنه لاحج عليه لآن من شرط الحج أمان الطريق) والمؤكد أنه ظل خلال هذه المدة يعد العدة للتوسع على حساب الأغالبة.

فقد واصلت هوارة ثورتها على الأغالبة سنة 192 هـــ، فاستنجد عاملها بالقيروان بإبراهيم بن الأغلب الذي أرسل ابنه عبد لله على رأس جيش عدته ثلاثة عشر ألف فارس تمكن من التنكيل بالبربر ((وقتل منهم خلق كثير))، ودخل عبد لله طرابلس وحصن سورها[1].

وتحرك ابن رستم على رأس جيش كبير من نفوسه لقتال عبد لله في طرابلس، ثم ضرب الحصار على المدينة، ولكن عبد لله أغلق جميع أبوابها، وباشر القتال من باب واحد، فلم يستطع الرستميون اقتحامها، وفقدوا بعض مشاهير رجالهم أثناء الحصار. ويخيل إلينا أن فشل الرسمتين في اقتحام طرابلس يعزي إلى افتضاح خطتهم، ومعرفة القائد الأغلبي بها عن طريق بعض رجال نفوسه، فأحبط محاولتهم واتخذ سياسية الدفاع . وكاد الإمام عبد الوهاب أن ينسحب ويعود أدراجه لولا وفاة الأمير إبراهيم بين الأغلب فجأة، فأرسل ابنه زيادة الله إلى أخيه عبد لله يسأله القدوم لتولي الإمارة ، ووقع الرسول والكتاب في أيدي الرستميين ، فأصروا على مواصلة القتال حتى اضطر عبد لله إلى طلب الصلح ((على أن يكون البلد والبحر لعبد لله ، وما كان خارجا عن ذلك لعبد الوهاب))، ويعني ذلك

[1]–ابن الاثير ،المصدر السابق،ص156

دخول هوارة ومن معها من القبائل في دائرة نفوذ الإمام الرستمي ، فاستجاب عبد الوهاب لشروط الصلح ، وعاد إلى جبل نفوسه بعد أن ولى العمال على النواحي الجديدة، مضى عبد لله إلى القيروان .[1]

إنصرف الأغالبة الأول إلى مواجهة ثورات الجند في إ فريقية، ثم إلى الجهاد في صقلية، فلم يتمكنوا- إلى حين- من تصحيح الوضع على حدودهم الشرقية بمواصلة النضال مع الرستمين ، وكذلك شغل الرستمين في نفس الوقت بمشاكلهم الداخلية المتمثلة- بصفة خاصة- في التزاع حول الإمامة وما ارتبط به من فتن وثوارت.

والحق – أن الدارس للأوضاع الداخلية للدولة الرستمية لا يعدم وجود ما يشير إلى وضوح طابع العداء في العلاقات الرستمية العباسية، وبالتالي في علاقات الأغالبة مع الرستميين ، ففي عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب الذي خلف والده بعد وفاته سنة 208 هـ إندلعت الفتن والثورات، كثورة خلف بن السمح الذي رفض الإعتراف بإمامة أفلح، وفتنة فرج النفوسي المعروف ((بنفاث)).

أما التائر نفات ، فإنه لما أخفقت حركته لم يجد مخرجا سوى الهروب إلى المشرق قاصدا بغداد، فرحب الخليفة العباسي بمقدمه ، وهذا يوضح دور الخلافة في الكيد للرستميين، هذا الدور الذي يؤكده ما حدث من لبقيض على محمد بن الإمام أفلح وسجنه في بغداد في عهد الخليفة الواثق[2].

ومن المتحمل أن يكون العباسيون- وقد هالهم تقرب الرستميين من الأندلسيين – أوعزوا إلى الأغالبة بالاعتداء عليهم، ففي سنة 239هـ أنشأ محمد بن الأغلب مدينة قبالة تاهرت سماها ((العباسية وأحرقها الإمام أفلح بن عبد الوهاب . وقد تضارب أقوال المؤرخين حول دوافع إنشاء المدينة، وكذلك أسباب إقدام الإمام الرستمي على إحراقها، فمن قاتل بأن إنشاء العباسية مرتبط أشد الارتباط بما جرى عليه الأمير محمد بن الأغلب من سياسية الاهتمام بأمور المغرب ومعاداة الرستميين، فأنشأ العباسية لتكون قاعدة للهجوم على عاصمة الدولة الرستمية، بينما يذهب آخر إلى أن إنشاء المدينة كان لسبب اقتصادي مؤداه أن تحتل مكانة تاهرت التجارية. والواقع أن كلا

[1]-الباروني ،المرجع السابق،ص146

[2]-محمد علي دبوز،المرجع السابق،ص394

التفسيرين مقبول ويمكن أن نضيف إليهما حرص الأمير الأغلبي على تأديب الفارين من رعايا، الذين أقاموا بتاهرت. وعاشوا في أحد أرباضها وعكفوا على إثارة المتاعب على الحدود مع الأغالبة [1].

ومهما يكن من أمر فقد أسس الأمير محمد الأغلبي مدينته الجديدة لتقف في وجه الرستميين، ((ورتب أسواقها على نسق عجيب، وترتيب غريب))، و لم يقف الإمام أفلح بن عبد الوهاب مكتوف اليدين حيال هذا الخطر، فأضرم فيها النيران ، وأرسل إلى الأمير محمد-أمير الأندلس- يخبره بذلك، فكافأه بمائة ألف درهم .

ورد الأمير الأغلبي على إحراق العباسية بتدبير المكائد للإمام أبي بكر بن أفلح الذي تولى الإمامة بعد وفاة أبيه سنة240هـ ، وتمكن عن طريق صنائعه في تاهرت من إثارة العراقيل في وجه الإمارة الرستمية.يروي صاحب الازدهار الرياضية أن شخصا يدعى خلف الخادم- مولى بني الأغلب- استطاع عن طريق بذل الأموال إثارة الشقاق بين سكان تاهرت، فانقسموا إلى معسكرين، الإمام وأنصاره من العجم والنفوسيين في جانب، والجند والعرب في جانب آخر، ونجح مولى بني الأغلب في تحريض العرب و الجند، فأحرقوا درب النفوسيين في تاهرت. وبالرغم من جهود الإمام أبي بكر في رأب الصدع، وقضائه على الحزب المناوئ في عدة مواقع، فإن الخلافات والفتن ظلت مستشرية ، حتى قضى عليها خليفته وأخوه أبو اليقظان محمد بعد سبعة أعوام من إمامته[2].

ونعتقد أن ما وقع من اضطرابات على حدود دولة الأغالبة الشرقية بناحية طرابلس كان من تدبير الإمام أبي اليقظان ، إذ يذكر ابن خلدون أنه في عهد الأمير الأغلبي ابراهيم بن أحمد (242-249هـ) ثار خوارج البربر من الإباضية في طرابلس سنة 245هـ ، وهزموا عاملها ، و لم يرتدعوا إلا بعد أن رماهم إبراهيم بن أحمد بجيش جعل على رأسه أخاه زيادة الله ، فنكل بالثوار.وهكذا تبادل الأغالبة والرستميون المكائد والدس لإحداث الشقاق والفتن وعرقلة الجهود.

[1]-عبد العزيز سالم،المرجع السابق،ص568

[2]-الباروني ،المرجع السابق،ص181،182

وما حدث في سنة 269 هـ من اشتراكهما معا في مواجهة حملة العباس بن أحمد بن طولون لم يكن نتيجة تحالف أو تعاون مشترك، و لم يسهم النفوسيون- أتباع بني رستم في المعركة ((إنقاد لطرابلس وبني الأغلب من ظلمه)) كما يروى البارونى[1]، بل حدث ذلك لما تهدد الجانبين من خطر العباس، فحين قدم العباس بحملته على لبدة، وقتل عاملها الأغلبي ، لم يتورع عن البطش بالإباضية التابعين [432]لإلياس بن منصور النفوسي، وتعدى بعض سودانه على بعض حرم البوادي، وهتكوا الحجب، فإستعانوا بإلياس بن منصور، وسواء .

أكان هؤلاء المستغيثون من البربر القاطنين بطرابلس كما يروى ابن عذارى[2]، أو من الضاربين في أحوازها كما يجمع بقية المؤرخين، فالثابت أنهم كانوا من رعايا الدولة الرستمية.أضف إلى ذلك أن ابن طولون قبل سيره من برقة بعث برسله إلى زعيم نفوسه يدعوه للطاعة، ويعده وينذره إذا لم يستجب لطلبه، وعلى ذلك فقد فرض على النفوسي درا الخطر الطولوني دون ارتباط بالأغالبة، يؤكد ذلك التحام الجيش الأغلبي مع العباس قبل وصوله إلى طرابلس منفردا، ((فلما كان اليوم التالي، وصلت جيوش نفوسه وعددها أثنى عشر ألفا من الإباضية))، واشترك الجيشان في قتال العدو المشترك، و لم يحصل النفوسيون على شيء من الغنائم التي خفتها الحملة الفاشلة، بل إستأثر الأغالبة بها. ولو كان هناك إتفاق مشترك مسبق لاقتسم الطرفان الغنيمة.

وبعد مرور ستة أعوام على ذلك الحادث الذي قاتل فيه العدوان جنبا لجنب،أعمل الأغالبة القتل في رجال نفوسه في إمامة أبي حاتم يوسف بن محمد الذي خلف والده أبا اليقظان محمد سنة281هـ. وقد اختلف المؤرخون حول أسباب حملة إبراهيم بن أحمد هذه ، وقد أوضحنا ذلك في دراستنا للعلاقات الأغلبية المصرية ، وانتهينا إلى أت الحملة توجهت إلى مصر بهدف الانتقام ، فاعترضت نفوسه بجيشها البالغ 20 ألف مقاتل طريق ابراهيم بن أحمد سنة 283هـ عند موضع يقال له ((مانوا)) وهو قصر قديم بين قابس وطرابلس[3]، ورفض القائد النفوسي أفلح بن العباس مرور الجيش الأغلبي في طريقه إلى مصر، فدارت معركة رهيبة راح ضحيتها إثنى عشر

[1]-البارونى ،المرجع السابق،ص255

[2]-ابن عذارى ،المصدر السابق ،ص158

3-البارونى ،نفسه،ص281

ألفا من الإباضية من بينهم أربعمائة من العلماء، وهرب أفلح بن العباس ببقية جيشه مدحورا، وزحف ابن الأغلب إلى قنطرارة فباغتها، ونكل بسكانها وأسر ثمانين من علمائها ، كما عرج على نفزواة، فلاقت نفس المصير.

قصارى القول: أن نفوسة التي شكلت عصب الدولة الرستمية ودرعها، انهارت بعد هذه العركة، وبانهيارها تداعت الدولة الرستمية، وذلك أن أهل الجبل عزلوا أفلح بن العباس وولوا غيره، فساد الإضطراب جبل نفوسة، ولم تستطع إرسال الإمدادات لتاهرت وشجعت حالة الفوضى هذه أمير القيراون على إرسال جيش آخر إلى نفوسة في رجب سنة 284هـ ، نكل بالرجال واستباح النساء، وعاد محملا بالأسرى، وقد ذبحوا ((واستخرجت قلوبهم من صدورهم وعلقت في حبال على باب تونس)) . ولم يستطيع إمام تاهرت أن يحرك ساكنا لمساعدة أنصاره في محنتهم لبعد المسافة، فانهارت نفوسة، وانهارت معها دولة الرستميين [1].

[1]-محمود اسماعيل ،الأغالبة سياستهم الخارجية،ص107

ثالثا –علاقة الرستميين بالأدارسة :

ساد علاقات بني رستم بالأدارسة من عداء نتيجة خلافاتهم المذهبية والاجتماعية والسياسية فان المصادر الاباضية تلوذ بالصمت التام فلا تذكر شيئا البتة عن هذه العلاقات ، وقد فسر كثيرون من الدارسين هدا الصمت على انه دليل على ما ساد هذه العلاقات من طابع الود وحسن الجوار ، لكن كتابا اخرون ذكروا حقيقة هذه العلاقات وانطوائها عل الخصومة والعداء .وسبب هذا العداء ان الادارسة كانوا من الشيعة الزيدية بينما كان بنو رستم من الخوارج الاباضية ، كذلك كانت دولة الادارسة دولة حضر ، بينما غلب الطابع البدوي عل الدولة الرستمية .هذا فضلا عما كان بينهما من تنافر سياسي – بسبب صداقة بني رستم لبنى مدرار والامويين في الاندلس اعداء الادارسة – عل الرغم من اشتراكهما في معاداة الخلافة العباسية [1].

وجدير بالذكر بالذكر ان الادارسة – مدفوعين بهذه الخصومة المذهبية والتباين الاجتماعي والعداء السياسي – عولوا على الاغارة على املاك دولة الرستميين واقتطاع بعض اجزائها ،بينما ركن الرستميون الى المسالمة لقصورفي قوتهم ، فلم يكن بوسعهم مناجرة جيرانهم الاقوياء ، واذا كانت غزوات الادارسة لم تشكل خطرا على على حكومة تاهرت – حسبما اعتقد ماسكراي ،فحسبهم اقتطاع اقليم تلمسان – وسكانه من مغراوة وبني يفرن الزناتيين – من بني رستم وضمه الى دولتهم.

ولم يكن ثمة ما يحول دون احتكاك الادارسة بجيرانهم الرستميين ، خاصة وان دولتهم ارتبطت في قيامها وتوسعها بخوارج المغربين الاقصى والاوسط فغالبية القبائل التي بايعت ادريس الاول كانت عل مذهب الخوارج ، فزناتة ، وزواغة ولماية ولواتة وسدراتة ونفزة – وهي اباضية المذهب – رحبت بادريس الاول ودخلت في طاعته ،وان ظلت بعض بطونها على مذهبها وولائها لبني رستم . وكان على ادريس وخلفائه ان يدخلوا في صراع مع بني رستم اذا ما ارادوا التوسع

[1] – محمد علي دبوز ،المرجع السابق ،ص387

شرقا لضم هذه البطون واستئصال شأفة الخوارج في منطقة تلمسان واسافل شلف ، وقد تحقق لهم ذلك بالفعل فيما يتعلق بإباضيه زناتة بالذات .

ففي سنة 173 ه (789م) توجه ادريس الاول على رأس جيش للاستيلاء على تلمسان وإخضاع قبائل مغراوة وبنى يفرن وغيرهم من الخوارج الصفرية والإباضية ، وتمكن من دخولها دون كبير جهد .

ونجح في توحيد جموع زناتة في غربي بلاد المغرب تحت لوائه ، واستولى على مدينة ذات أهمية استراتيجية خاصة ((فتلمسان قفل بلاد المغرب)) ذات شهرة تجارية عريضة ، فضلا عن قوة بشرية كبيرة سلخها عن نفوذ دولتي الخوارج.

ويبدوا أن الإمام عبد الوهاب الرستمي حاول استعادة نفوذه في هذه النواحي ، لكنه لم يجرؤ على غزو تلمسان . و لم تكن بوسعه سوى تأنيب أصهاره من بني يفرن ، فقاموا بالثورة على الادارسة ، وظلوا بمنأى عن نفوذهم إلى أن أخضعهم إدريس الثاني سنة 197ه (813 م) فدانوا له بالطاعة من جديد وتخلوا نهائيا عن مذهب الخوارج . بل حاول زعماء مغراوة وبني يفرن إغراء بني رستم للدخول في طاعة الأدارسة ، فلم يستجيبوا ، وناصبوهم العداء ودخلوا معهم في حروب فتت في عضد بني رستم على عكس ما يذكره مارسيه من ((خروج تاهرت ظافرة من هذا الصراع)) فالثابت أن الإمامة الرستمية لم تقم بمحاولة جدية في هذا الصدد ، واقتصر الامر على مجرد إغارات محدودة قامت بها جماعات من نفوسة ردا على اعتداءات بني يفرن على رعايا الدولة الرستمية [1].وفضلا عن اغارات بنى يفرن ومغراوة على الاطراف الشمالية للدولة الرستمية حرص الأدارسة على إثارة العراقيل في تاهرت نفسها ، ولا يخامرنا شك في أن إدريس الثاني كان من وراء تمرد الواصلية على عبد الوهاب الرستمي سنة 195 ه (811 م) ، فمن المعروف أن طنجة كانت معقلا لواصلية المغرب ، وأن أوربة دانت بمذهب الواصلية ، كما أقبلت بعض بطون زناتة على اعتناقه كذلك ، ومعلوم أن اوربة كانت عصب دولة الأدارسة ، وأن ولاء زناتة

[1]- الشماخي ،المصدر السابق ،ج1،ص197،198

الغرب تحول إلى بني إدريس وبديهي ألا تقطع الصلة بين الواصلية الضاربين خارج تاهرت وبين معاقلهم في دولة الأدارسة ، وليس غريبا إقدام الأدارسة على إستغلال هذه الصلة في إثارة العراقيل أمام خصومهم من بني رستم ، مصداق ذلك قول أبي زكريا [1]((فتكاثفت كلمة الواصلية ، واجتمعوا من كل نقب ، وجاءوا من كل أوب .. وأظهروا مخالفة الإمام)) .

واغلب الظن أن ثورات هوارة على الائمة الرستميين لم تخل كذلك من تحريض الادارسة ، فمواطنها الاصلية كانت داخل دولة الادارسة حيث اتخذت من جبل ينجان معقلا وملاذا حين تعرضت لبطش عبد الوهاب ابن رستم . ومن المرجحان تكون حركتها التي انتهت باستيلاء زعيمها محمد ابن مسألة على السلطة في تاهرت سنة 260ه (874م) قد قامت بمساعدة ال ادريس وتحريض منهم .

ومن المحقق أن تلك المؤامرات التي أمعن الادارسة في نسج خيوطها لم تقابل بأدنى مبادرة من قبل بني رستم للرد عليها ، وذلك مما يشكك في تصور جوتييه للعلاقات الرستمية الإدريسية على أنها موجات من ((الافعال وردودها)) ، ولا محل لتصديقه في تعليل انشاء مدينة فاس بخوف ادريس الثاني من تآمر بني رستم على دولته بالتواطؤ مع العناصر الحانقة على آل ادريس داخل بلادهم [2].

لم يكن بوسع الأئمة الرستميين مجاراة الأدارسة في تدبير المكائد واحداث الشقاق ، كما عزفوا نهائيا عن محاولة استرداد نفوذهم المفقود في الاقاليم الشمالية والساحلية ، على الرغم مما حل بدولة الادارسة من ضعف وتفتت اثر وفاة ادريس الثاني سنة 213 ه (828 م) فقد آلت تلمسان وما حولها إلى آل سليمان وأضحت ولاية حاجزة بين الدولتين . وقد تعرضت ولاية تلمسان للتجزئة والتمزق السياسي أيضا ، فقسمت إلى ثلاثة أقسام بين أبناء محمد بن سليمان ، إذ استقل ابنه محمد بمدينة تلمسان وعيسى بأرش قول ، أما جرأوه فكانت من نصيب إدريس ثم آلت

[1] -ابي زكريا ،المصدر السابق ،ص29

[2] -محمد على دبوز ،المرجع السابق،ص485

الى أضعافهم جميعا الامر الذي حدا يفورنل إلى الاعتقاد باستعادة زناتة القديم في هذه الجهات . ومع ذلك لم تسلم الدولة الرستمية من أخطارهم ومؤامراتهم[1].

لقد ضعفت الدولة الرستمية بعد أفلح ابن عبد الوهاب ، وشغل ائمتها بأحداث تاهرت وما جاورها ، فاجترأ أمراء آل سليمان على اقتطاع بعض البلاد والقلاع التابعة لبني رستم ، كمدينة الخضراء وسوق إبراهيم وغيرها بعد البطش بسكانها من الإباضية ، دون أن يحرك أئمة تاهرت ساكنا . وفضلا عن ذلك فقد أسهموا في إثارة الفتن والثروات التي اضعفت الحكم الرستمي في سنيه الاخيرة ، فبكر بن حماد – اخ محمد بن حماد زعيم الثوار على أبي حاتم يوسف – كان على صلة مريبة بأبي العيش عيسى بن إدريس العلوى حاكم جرأوه ، وبأحمد بن القاسم بن إدريس حاكم مدينة كرت . ولما أخفقت الثورة ،واستعاد أبو حاتم الإمامة هرب كثيرون من الثوار لائذين بآل سليمان والأدارسة[2].

هكذا – اتسمت علاقات بني رستم السياسية مع الأدارسة بطابع العداء ، وأسفر الصراع بين الدولتين عن تغلب الأدارسة واستكانة بني رستم .

[1] –مبارك الميلي ،المرجع السابق ،ج2،ص49

[2] –محمد علي دبوز ،المرجع السابق ،ج3،ص336

المبحث الثاني:العلاقات الودية

أولا:علاقة الدولة الرستمية بولاة إفريقية :

عندما فشل ابن الأشعث في استزال عبد الرحمن بن رستم بجبل سوفجج سنة 144هـ ، وقد اضطر إلى العودة إلى القيروان بعد أن طال حصاره لابن رستم ، وتفشى المرض في صفوف رجاله. فلما أسس عبد الرحمن مدينة تاهرت ، واتخذها حاضرة له ، واستقرت دعائم دولته لم يحاول ولاة إفريقية بعد ابن الأشعث مهاجمة هذه الدولة الناشئة ، وعلى الرغم من تمكن عمر بن حفص من إنزال الهزيمة بجيش ابن رستم بالقرب من تهوذه سنة 151 هـ [1]، فإنه لم يفكر بعد في مهاجمة تاهرت ، فعاد إلى القيروان حيث قتل في إحدى معاركه مع قوات أبي حاتم يعقوب بن حبيب الإباضي . وبمرور الزمن استطاع ابن رستم أن يسير بدولته في طريق القوة والمنعة ، فهابه روح بن حاتم ، ورغب في موادعة عبد الرحمن بن رستم ، فوادعه وهادئه سنة 171 هـ ، كما وادع ابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن من بعده[2].

ولما قامت دولة بني الأغلب بدأ أمراؤها ينازعون الرستمين في أملاكهم ، فلما استعانت قبيلة هوارة بالإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن سنة 196هـ ضد أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب رحف عبد الوهاب بحشود هائلة من بربر تقوسه، وضرب الحصار على طرابلس، فإضطر إبن الأغلب إلى مهادنته على أن يحتفظ الأغالبة بمدينة طرابلس الساحل بينما يضع الرستميون أيديهم على ضواحي طرابلس والصحراء.

وظلت العلاقات متوترة بين الرستمين والأغالبة، وكانت تاهرت قد إزدهرت إزدهارا كبيرا في عهد أفلح بن عبد الوهاب ، وأصبحت بحق حاضرة المغرب كله، إذ اجتذبت إليها الخارجين على دولة الأغالبة من الجند وأهالي القيروان، وتضخم ملك الرستمين تضخما كبيرا، وتألق نجمهم في سماء المغرب ، وعندئذ عمد أبو العباس محمد بن الأغلب إلى محاربة الرستمين وذلك بإنشاء مدينة تجاور تاهرت، كان الغرض من إنشائها أت تحتل نكامنة التي تشغلها تاهرت[3]،

---

[1] ـــ إبن عذارى،المصدر السابق ،ص 72

[2] ـــ ابن عذارى ،نفسه، ص 73

[3] ـــ عبد العزيز سالم ، المرجع السابق،ص481

ففي ستة 227 هـ أسس مدينة بالقرب من تاهرت سماها العباسية ، فسكت عليه الإمام أفل ، و لم يحاول أن يثنيه عن إقامتها وتخطيطها ، فلما تم بناؤها ، ونظمت أسواقها ، وثب عليها بجيوشه، وأجلا سكانها عنها ، ثم أحرقها . ومع ذلك فقد لزم أبو العباس محمد الصمت ، و لم يعمل على محاربة الرستمين ، إذ لم يكن له طاقة بحربهم . وأخيرا تمكن إبراهيم بن أحمد من هزيمة جيش الرستمين بقيادة أفلح بن العباس في واقعة قصر مانو سنة 383 هـ ، وفي هذه المعركة، استنفذ الطرفان قواهما، وكان ذلك مقدمة لسقوط كل من دولتي الأغالبة والرستميين على أيدي الشيعة العبيديين.

ثانيا: علاقة الرستمين بالأمويين في الأندلس

كان من الطبيعي أن يلتقي أمراء بني أمية في قرطبة بأئمة الرستمين في تاهرت ، وتقوم بينهم علاقات من الصداقة والمودة ، فإن العباسيين الذين كانوا يحاربون بني أمية في الأندلس ،كانوا ايضا أعداء للاباضية في وتاهرت،فقامت بين الأندلس وتاهرت علاقات تجارية، وكانت السفن تتردد بين وهران والمرية حاملة المتاجر والعلماء والمسافرين إلى كل من الثغرين. ويذكر الأستاذ دبوز أن قيام دولة الرستمين هو الذي مكن.

دولة عبد الرحمن الداخل من الرسوخ ، وأتاح لها السبيل إلى الإزدهار ، كما أن الدولة الرستمية كانت الجمر الذي يصل دولة بني أمية في الأندلس بالمشرق الإسلامي، لذلك كان أمراء بني أمية يهادون أئمة الرستمين تودادا لهم واكتسابا لصداقتهم [1]. وقد كثر وفود أهل الأندلس إلى تاهرت ، فكان منهم عمران بن مروان الأندلسي ومسعود الأندلسي اللذان رشحهما عبد الرحمن بن رستم في جملة من اختارهم للإمامة من بعده. ويذكر ابن القوطية أن عمر بن حفصون فر إلى مدينة تاهرت، فاشتغل مساعدا لخياط أصله من رية، وبينما هو ((جالس في حانوته إذ أتاه شيخ معه ثوب يقطعه، فقام إليه الخياط ، ووضع له كرسيا يقعد عليه، فسمع الشيخ كلام إبن حفصون ، فأنكره عند الخياط، فقال له: من هذا فقال : غلام من جيراني برية أتى ليخيط عندي، فالتفت الشيخ إليه، فقال له : متى عهدك برية؟ قال: منذ أربعين يوما. قال تعرف جبل ببشتر؟ فقال له : أنا ساكن عند أصله . قال له الشيخ : فيه حركة ؟ قال : لا. قال : قد آن له ذلك . ثم قال له :هل تعرف فيما يجاوره رجلا يقال له عمر ابن حفصون ، فذعر من قوله ، وأحد الشيخ النظر

[1]–محمد علي دبوز،تاريخ المغرب الكبير،ج3،ص350

أليه[1]، وكان ابن حفصون أفضم الثنية، فقال له: يا منحوس ،تحارب الفقر بالإبرة. ارجع إلى بلدك ، فأنت صاحب بني أمية، وسيلقون منك غيا، وستملك ملكا عظيما، فقام من فوره ، وذلك خوفا من أن ينتشر الأمر[2] وأن يتقبض عليه بنو أبي اليقظان وكانوا مالكي تاهرت ، وولاؤهم لبني أمية فأخذ خبزتين من الخباز، وألقاهما في كمه، وخرج فأتى الأندلس)).

ونستنتج من هذه الرواية أمرين: الأول، أن تاهرت كانت تضم جالية أندلسية كبيرة، والثاني أن العلاقات بين بني أمية بالأندلس والرستمين بتاهرت كانت قائمة على الصداقة والمودة. ويذكر الباروني صاحب الأزهار الرياضية انه كان لافلح بن عبد الوهاب مع ملوك الأندلس مواصلة وارتباط ومودة، يهادونه بالهدايا النفيسة، ويهاجيهم بمثلها، وله عندهم مقام رفيع، ينظرونه بعين الإجلال والاعتبار[3]. وعندما أحرق أفلح مدينة العباسية، وخربها سنة 227 هـ ، كتب إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط بالأندلس يتقرب إليه بذلك ، فبعث إليه مائة ألف درهم.

وفي عهد أبي اليقظان محمد بن أفلح، دامت علاقات المودة والصداقة بين تاهرت وقرطبة، وكان أبو اليقظان ((لا يقدم ولا يؤخر في أموره ومعضلاته إلا عن رأيه (أي الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط 238-273 هـ) وأمره، وكذلك بنو مدرار بسلجماسة))[4].

ثالثا: علاقة الدولة الرستمية بدولة بني واسول المد بين بسجلماسة

كانت دولةبنى واسول دولة صفرية معتدلة، ولذلك التقت أهدافها مع أهداف الدولة الرستمية، وتوطدت بيتهما أواصر المودة والصداقة، وازدادت هذه الروابط وثاقة، وإحكاما منذ أن زوج اليسع بن إلياس، وكان إباضيا صفريا[5]، ابنه مدرار من أروى ابنة عبد الرحمن بن رستم. وقد أنجب مدرار من أروى ولدا سماه ميمونا، وكان يؤثره على بقية بنيه، وقد لعب ميمون هذا دورا هاما في تاريخ دولة بني واسول بسجلماسة، إذ تولى الإمارة في عهد أبيه ، ولكن أخاه ميمونا غلبه عليها[6]

[1]-عبد العزيز سالم ،تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ،ص484

[2]ـ عبد العزيز سالم،المرجع السابق ،ص 483ـ 484

[3]-الباروني،المرجع السابق ،ص186

[4]ـ عبد العزيز سالم ،نفسه ،ص485

[5]-محمد علي دبوز،المرجع السابق،ج3،251

[6]ـ عبد العزيز سالم ،نفسه ،ص 486

رابعا: علاقة الدولة الرستمية بالسودان :

اتصلت الدولة الرستمية بالسودان اتصالا تجاريا، وذلك عن طريق القوافل التجارية التي كانت تخرج من ورجلان (ورجلة) قاعدة الرستمين التجارية في الصحراء. وكان تجار الدولة الرستمية يحملون المنسوجات الصوفية والقطينة ، والكستانية [1]. وأواني الزجاج، والفخار والخزف ذي البريق المعدني ، والملح، إلى بلاد السودان لنذرته عندهم، فيبعونه هناك بأسعار مرتفعة للغاية، ويعودون محملين بالذهب والعاج وجلود الحيوانات. وكان أهل ورجلان يقودون هذه القوافل التجارية إلى بلاد السودان[2]. وكان الإمام أفلح قد عقد مع ملك كوكو في السودان الشمالي الغربي علاقات من المودة، فأهدى إلى هذا الملك هدية نفيسة ليوثق الصداقة بينهما ، ويشكره على ما يجده تجار بلاده من حسن معاملته لهم وكان رسوله إلى ملك كوكو هو محمد بن عرفه ، وقد أعجب الملك بشخصية ابن عرفه وبثقافته وفروسيته ولطفه وكان لذلك أكبر الأثرفي توثيق عرى الصداقة بينه وبين الإمام أفلح.[3]

خامسا: علاقة الدولة الرستمية بمصر

كانت حدود الدولة الرستمية الشرقية تصل الى الخليج سرت.وكانت علاقتها متينة . وكان في مصر كثير من الإباضية الجمهوريين وكانت مصر معجبة بالدولة الرستمية لعدلها ودينها .وعملها وحضارتها .ونشاطها ففتحت لها ذراعيها.فتدفقت قوافلها التجارية إليها ،وكانت هوارة في شرق طرابلس ونفوسة والقبائل الطرابلسية الأخرى تجوب صحراء سرت ذاهبة أبية بين المدن الرستمية في المغرب الأدنى والأوسط وبين مصر، وقوافلها الجرارة مثقلة بالسلع الرستمية والمصرية[4] .

هكذا تأثرت علاقات بنى رستم إلى حد كبير بظروف دولتهم الجغرافية ومذهبهم الدينى ومصالحهم السياسية والإقتصادية.

---

[1]– القزويني زكريا محمد بن محمود،اثار البلدان وأخبار العباد ،بيروت،دار صادر ،د.ط،د.تا،ص58

[2]– الباروني،المرجع السابق ،ص184،185

[3]ـــ عبد العزيز سالم،المرجع السابق ،ص 487

[4]–محمدعلي دبوز ،المرجع السابق ،314

سادسا –علاقة إباضية الشرق مع الرستميين :

اعتمد على أساليب الدعوة السرية والتنظيم السياسي على اثر فشل حركة عبد الله بن أباض التميمي في عهد مروان ابن محمد الأموي ، فطفقوا يرسلون من مركزهم في البصرة دعاتهم إلى الامصار المتطرفة كخراسان وجنوبي الجزيرة العربية والمغرب لنشر المذهب الإباضي وإقامة دولة إباضية خالصة ، وأسفرت هذه الجهود عن فشل الدعوة في خراسان ، ونجاحها في الجزيرة العربية والمغرب .

ففي جنوبي الجزيرة العربية ، قامت دولة إباضية ضمن عمان واليمن وبعض أقاليم الحجاز برئاسة أبي عبد الله بن يحي الكندي ، المعروف بطالب الحق ، والتي سقطت سنة 130 ه (748م) غير أن فلول الاباضية تمركزوا في حضر موت بزعامة الجلندي الذي قتل سنة 134 ه على يد الجيوش العباسية [1]. و لم يحل ذلك دون قيام دويلات للإباضية في عمان . كان آخرها أمامه الصلت بن مالك التي دالت سنة 280 ه (896م) . وكانت هذه الحكومات الإباضية في عمان على نسق الدولة الرستمية في المغرب ومعاصرة لها . وكانت وثيقة الصلة بجماعة الإباضية الام في البصرة . فضلا عن مشايخ المذهب بمكة والمدينة و لم يكن هناك ثمة ما يحول دون التقاء إباضية عمان وإباضية المغرب – وأغلبهم من نفوسة – في مواسم الحج وان كنا نشك في وجود صلات وثيقة بينهما ، فالمصادر خلو من ذلك تماما في الوقت الذي تزخر فيه بالكثير عن صلات إباضية البصرة بعمان وتاهرت وحرصهم على دعم الحكم الإباضي فيها [2].

لقد ظل التنظيم السياسي السرى لإباضية البصرة قائما يتداول رئاسته فقهاء المذهب جيلا بعد جيل رغم عنف الضربات التي كالها بنو العباس للخوارج في المشرق . واستمرت صلاتهم بإباضية المغرب ابان مرحلة الثورة وبعدها ، لما جنحوا الى الاستقرار السياسي وأقاموا دولة بني رستم .

[1] –ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ،ج5،ص145

[2] –الشماخي ،المصدر السابق ،ج1،ص114

وفي كلتي المرحلتين دابوا على دعم اباضية المغرب ماديا وروحيا ، فأرسلوا إليهم الاموال ، وأفتوهم في مشاكلهم السياسية والمذهبية ، وتدخلوا لتسوية خلافاتهم بإبداء النصائح وإرسال البعوث . كما حرص زعماء اباصية المغرب على الاستنارة بخبرة شيوخهم المشارقة في السياسة والحكم والاستزادة من تبحرهم في العلم وتفقههم في المذهب ، فدأبوا على انفاذ بعوثهم للدراسة على مشايخ البصرة ، وحكموهم فيما عن لهم من مشاكل وخلافات ، واستمدوا منهم الكتب والتآليف وخاصة ما تعلق منها بالمذهب الإباضي .

وقد سبقت الاشارة الى دور أبي عبيدة مسلم بن ابي كريمة في التنظيم والاعداد لامامة أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح ، ومتابعته أحوالها ، وحرصه على تجنيد إباضية المغرب الخلاف والشقاق الذي سببته مسألة الحارث وعبد الجبار.

وبديهي أن تتوطد هذه الصلات بقيام دولة بني رستم ، وحسبنا أن مؤسسها عبد الرحمان بن رستم تتلمذ في حلقة ابي عبيدة بالبصرة ، ونجاحه في تأسيس دولة إباضية بالمغرب اعتبر نصرا لإباضية المشرق أيضا ، فقد نظروا اليه باعتباره ((امام الظهور))[1] لسائر اتباع المذهب في كافة ارجاء العالم الاسلامي .

ويبدوا أن جماعة هائلة من إباضية الشرق هرعوا الى تاهرت بعد إنشائها هروبا من بطش بني العباس ورغبة في العيش في كنف الدولة الرستمية فقد تطلع اباضية الشرق الى قيام دولة لهم تضم المشرق والمغرب معا[2] ، فانبروا يعضدون الدولة الرستمية ، وبادروا بالنفاذ المساعدات المالية ليستعين بها عبد الرحمن بن رستم على مواجهة مشاكل دولته آملين أن تكون نواة للدولة الكبرى المنشودة . وليس أدل على تعاطف ابن رستم مع اباضية الشرق من رفضه لمزيد من هذه الاموال حين تدعمت دولته واشتد ساعدها .

[1]-الدرجيني ،المصدر السابق ،ص25

[2] -ابن الصغير،المصدر السابق ،ص10

كذلك جزعت جماعة المذهب في الشرق لما ظهرت الاضطرابات والانشقاقات في الدولة الرستمية في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن وخاصة ما مس الجانب المذهبي منها ، كانشقاقات النكار والخلفية وما انتهت اليه من افتراق الاباضية في المغرب . وجدير بالتنويه أن المتخاصمين كانوا يحتكمون في خلافاتهم الى مشايخ المذهب في الشرق ، فقد هادن يزيد ابن فندين – زعيم النكار- الامام عبد الوهاب ريثما ترد فتوى المشارقة حول الامامة المشروطة ، وسياسة الامام في تنصيب عماله [1].

كما احتكم الامام عبد الوهاب وخلف بن السمح ايضا الى فقهاء المشارقة في مسألتي تعدد الأئمة وحق الرعية في اختبار عمالها .و لم يتوان اعلام المذهب وفقهائه عن البث في تلك المسائل أو القضايا . وعلى الرغم مما تصوره المصادر الاباضية من ان فتاوى المشارقة كانت في صالح الامامة ، فلا نعدم وجود ما يشير الى استيائهم من سياسة عبد الوهاب وانتهاكه التعاليم المذهب وخروجه على احكامه . وعلى اية حال ، فإن حرصهم على تحاشي الشقاق ورأب الخلاف بهم إلى تهدئة الخواطر بإسداء النصح لاطراف النزاع جميعا.

كان حرص رؤساء التنظيم الام في البصرة على استمرار الامامة في تاهرت ودعمها شغلهم الشاغل فقد افتوا بجواز تقاعد الامام عن الحج حرصا على سلامته ،كما كلفوا أنفسهم مشقة نسخ الاف التأليف والتصانيف لتزويد المكتبة (المعصومة)بتاهرت بها .ولأغرو فقد وجدت هذه الكتب اقبالا لدى اباضية المغرب ،فأقبلوا على دراستها وتصدوا للانحرافات المذهبية وخروج الأئمة في سياساتهم عن تعاليم المذهب على هدى ما ورد فيها [2].

[1] – الشماخي ،المصدر السابق ،ج1،ص146

[2] – المصدر نفسه ،ص181

كما حرص المشارقة على انفاد بعوثهم لتفقد أحوال الدولة الرستمية والتدريس في مساجدها والافتاء في مشاكلها وقضاياها وفضلا عن ذلك فقد نقلو معهم الى المغرب تقاليد الحضارة والفن الشرقى[1] .

ومن المعروف أن المتاجر والسلع الشرقية كانت ترد الى تاهرت عن طريق الاباضية المشارقة فيخبرنا الشماخي أن الربيع بن حبيب – خليفة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة –كان يبعث أخاه بصحبة ما يحتاجه الامام عبد الوهاب من صنوف البضائع والسلع الشرقية . والمصادر خلو من اية اشارة الى استمرار هذه العلاقات بعد امامة عبد الوهاب باستثناء اشارة عابرة أوردها بعض مؤرخي الاباضية عن اهتمام أفلح بن عبد الوهاب بتوليف أعلام المذهب من المشارقة–وخاصة ما كتبه أبوسفيان محبوب بن الرحيل –وحضه رعيته على اتباع سننهم .ولو صح ذلك لكان أفلح اخر ائمة بنى رستم الذين اعترف جمهور الاباضية بإمامتهم كما يذهب الورجلانى .ونعتقد أن استياء أعلام المذهب في الشرق من خروج عبد الوهاب على تعاليم المذهب تطور الى رفض وانكارلامامة خلفائه ،فقد تحولت الامامة الى ملك وراثي ،وضاعت هيبتها وامتهنت رسومها فكان ذلك قيمنا بعزوف اباضية الشرق عن مناصرة الرستمية ولاتصال بحكامها[2].

[1] –الشماخي ،المصدر السابق،ص165.

[2] –نفسه،ص228.

خاتمة

وفي ختام هذا الموضوع الذي عرضنا فيه الحياة الساسية والإدارية الدولة الرستمية كان لابد علينا من وقفة ختامية نستعرض فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هدا العمل وذلك على النحو الأتي :

ـــ إن سبب انتقال الخوارج من المغرب الإسلامي هو معاناتهم من مضايقة الأمويين لهم في المشرق وبعد سقوط هده الأخيرة حلت قوة جديدة هي الدولة العباسية التي واصلت محاربتها لهم ومنعهم من نشر المذهب الإباضي بالمشرق.

ـــ إختيار الخوارج المغرب الأوسط كمكان لنشر دعوتهم بسب ملاحقة العباسيين لهم بالمغرب الأدنى ، فقرروا إيجاد موطن خاص بهم وحينها بايعوا عبد الرحمان بن رستم الذي إختار مدينة تيهرت كمركز لنشر المذهب الإباضي .

ـــ إن الدولة الرستمية دولة عقائدية بمعنى أنها تنتقي تشريعاتها وتعاليمها من أصول العقيدة الراسخة.

ـــ يقوم نظام حكمها على العديد من المبادئ وتعتمد في تسيير شؤونها على النظام الشورى

ـــ الإمامة الإباضية روحية ودينية وزمنية ،الحاكم فيها يتمتع بصلاحيات الإمامة الدينية في تنفيد وتطبيق التعاليم الإسلامية .

ـــإن إختيار الإمام لم يخرج عن الأسرة الرستمية إذ بقيت بين أفرادها على أن الإنتقال لم يكن بالمعنى الضيق للوراثة ومع ذلك فالوراثة بقيت في أل رستم وهذا ماجعل الباحثيين والمؤرخين للدولة الرستمية يعتبرون نظام الحكم فيها أقرب إلى الملكية بل يسمون الدولة الرستمية بمملكة تاهرت.

ـــ تعاقب على حكم الدولة الرستمية ثمانية حكام مدة قرن وربع قرن .

ـــ عرفت الدولة الرستمية نظام الوزارة كغيرها من الدول التي كانت قائمة أساسا على النظام الفارسي.

ـــ عرفت الدولة الرستمية نظام الولاية التي كانت قائمة أساسا على تعيين الوالي من طرف الإمام.

تمكن الرستميون من توطيد علاقاتهم الخارجية وكانت بعض العلاقات عدائية مثل :علاقتهم مع العباسيين بالمشرقو الأغالبة.وبحيث إتصف بعضها بالودية وتوطد أواصل المحبة والصداقة مثل :المصريين والأمويين بالأندلس وكذلك مع المدرايين والسودان.

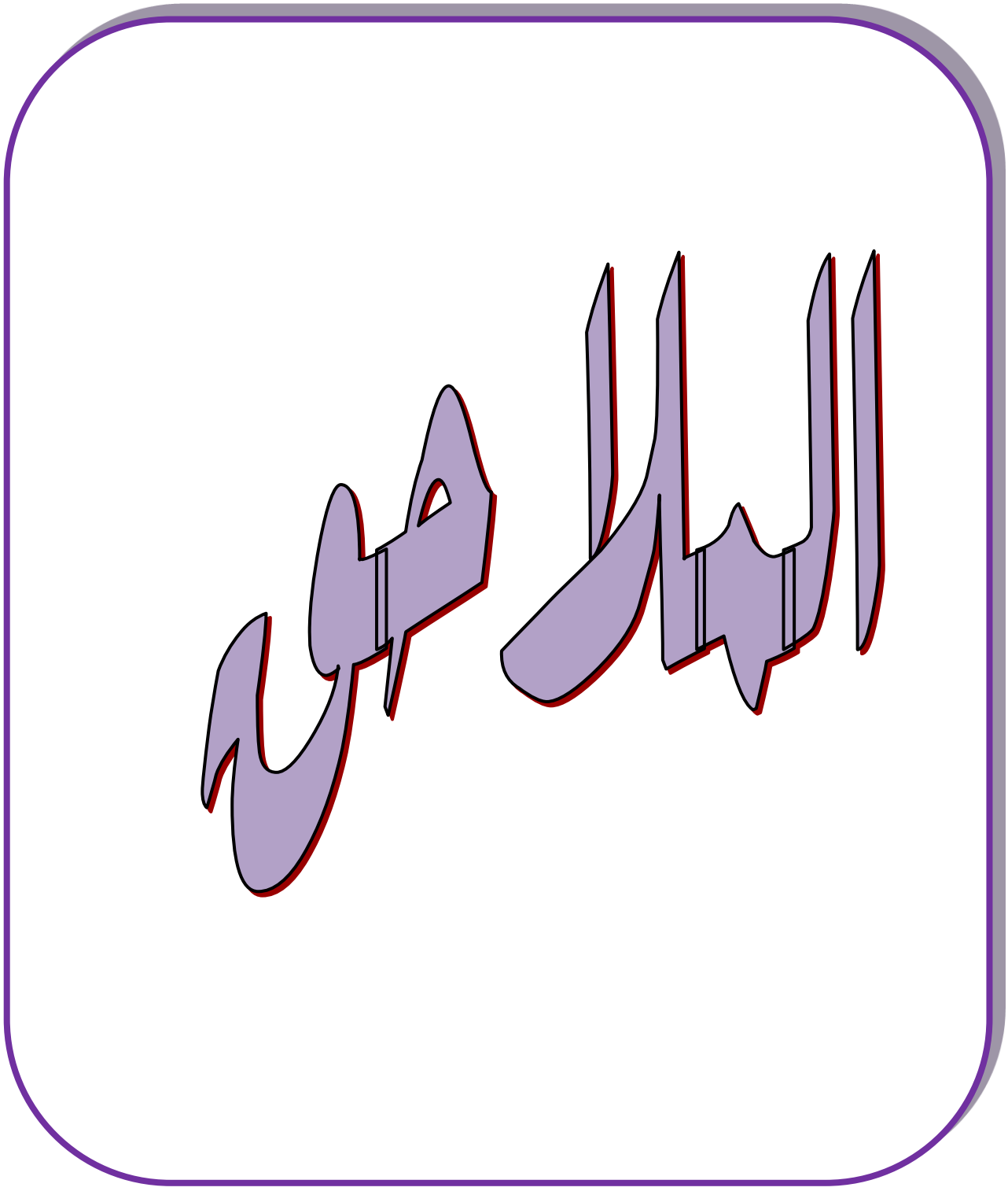
البلاص

الملحق رقم 01 : موقع الدولة الرستمية[1]

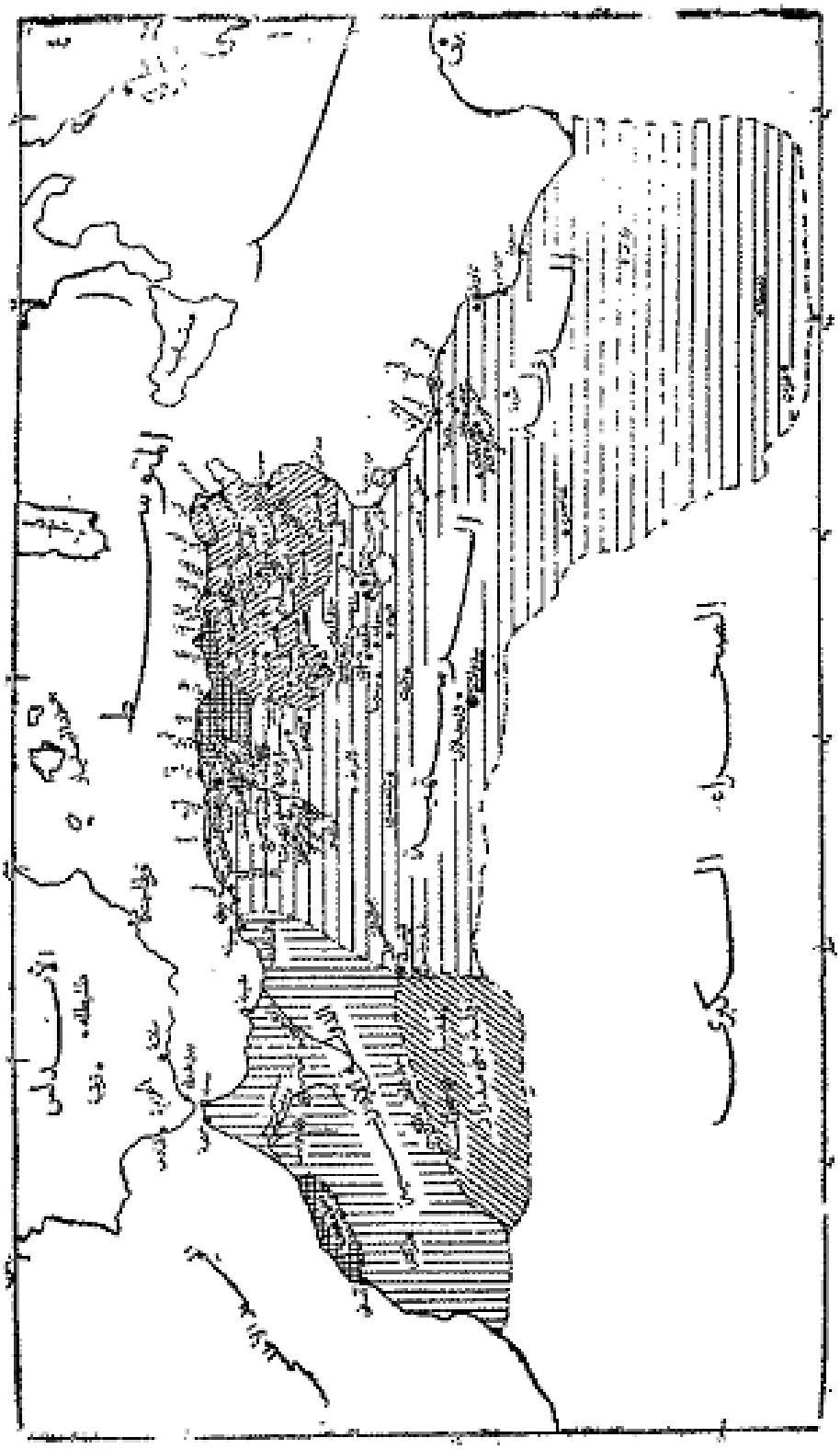

[1] عيسى الحريري مرجع سابق، ص 248

الملحق رقم 02 : رسالة الإمام أفلح بن عبد الوهاب إلى الثائر نفات بن نصر.[1]

رسالة الإمام أفلح بن عبد الوهاب إلى الثائر نفات بن نصر

من أفلح بن عبد الوهاب ، إلى نفات بن نصر ، أما بعد .. .

فالحمد لله المنعم علينا والمحسن إلينا الذى بنعمته تتم الصالحات ولا يهتدى مهتد إلا بعونه وتوفيقه فله المنة علينا ولا منة لنا عليه ، وهو المحسن إلينا إذ هدانا لدينه وجعلنا خلفا من بعد أسلافنا الصالحين وأئمتنا المهتدين الذين فى اتباعهم نرجو الهدى وفى مخالفتهم نخشى الهلكة ، ولن يهتدى من خالف العدل ولن ينجو من ابتدع غير الحق لأن تلك البدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل كفر فى النار .

وقد كتبت إليك غير كتاب أنصح لك فيه وأدعك إلى رشدك وفى كل ذلك لا يبلغنى من عمالنا فيك إلا ما أكره ولا أرضاه لدين ولا دنيا حتى حررت كتابا منشورا إلى عمالنا أمرهم فيه بخلع كل ما خالف سيرة المسلمين وابتدع غير طريقتهم وسار بغير سيرتهم وبنفيه وهجره وإقصائه ، فكتبت إلى كتابا كأنك تسخط ذلك ، أترى أنى أوازر من ابتدع فى ديننا (كلا) ما كنت بالذى يفعل تلك ولا أوازر من يسعى فى خلافنا ما كنا على الهدى .

ثم قلت أنا أمرنا فى كتابنا بالبراءة منك ، فإن كنت كما كتب به إلينا عمالنا فأنت محقوق بالبراءة ومقصى من جماعتنا لأننا ما كتبنا ذلك إلا على أن كل من ابتدع فى ديننا خلاف أسلافنا وزعم أن عمالنا أساقفة وأنهم لا طاعة لهم فى حال كتمانهم فهو محقوق بالبراءة من جماعة المسلمين فإن تكن أنت منهم فأنت الذى أبحت لنا البراءة منك وأحللت بنفسك ما لابد لنا أن نفعله بك بغيرك وإن لم تكن كذلك فاظهر الانتفاء من ذلك وكذب عن نفسك ما قيل عنك لتكون عندنا بالحالة التى تستحقها وتستوجبها .

وأما قولك (تبت مما كتبت به) فهو منك عبث إذ لم أشاهدك ولم أشاهد موافقتك حتى يجب لك على أصل ولاية ، ولم يكن لك عندى تقدمة فى الموافقة وإنما رفع إلينا عنك ما رفعه أهل الثقة عندنا فأمرنا عمالنا أن يسيروا فى كل من ابتدع بسيرة المسلمين وكتبنا إليهم بذلك ، فجعلت تكتب إلينا فيما ليس به كتاب . فعلام تتجاهل فى الأمور ، فإن كانت غايتك إنما هى أن نكتب إليك ونجيب وتكتب إلينا ونجيب فهذه غاية قصيرة والسكوت عنك أهنأ وأولى بنا ونحن بمأمنينا به أحق من مجاوبة أهل التكلف ومن ليس له غاية إلا أن يقال فيه كتب فلان وقال فلان وفلان بفعل وفعل فلان ، وإن كانت غايتك التصحيح فأنف عن نفسك ما رق عليك وكن من جماعتنا وموافقى أسلافنا ، فإذا تبينت منك الموافقة والانتفاء مما رق عليك كان ذلك هو الذى نحبه منك ومن غيرك وليس لك عندى غير هذا ، وإن يكن حقا ما رق عليك وما قيل فيك من مخالفة أصحابنا فأنت وما رضيت به لنفسك ، وإنى غير كاتب إليك كتابا بعد هذا إلا إن انتهى إلينا منك ما نحبه فتنزلك من أنفسنا بحيث تحب والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم « اهـ » .

[1] عيسى الحريري مرجع سابق ،ص 249.

الملحق رقم 03 : أئمة الدولة الرستمية [1]

ائمة الدولة الرستمية

	تاريخ الولاية
الامام عبد الرحمن بن رستم	١٦٠ هـ - ٧٧٦ م
الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن	١٧١ هـ - ٧٨٧ م
الامام افلح بن عبد الوهاب	١٩٠ هـ - ٨٠٥ م
الامام ابو بكر بن افلح	٢٤٠ هـ - ٨٥٤ م
الامام ابو اليقظان بن افلح	٢٤١ هـ - ٨٥٥ م
الامام ابو حاتم بن ابي اليقظان	٢٨١ هـ - ٨٩٤ م
الامام يعقوب بن افلح	٢٨٢ هـ - ٨٩٥ م
الامام اليقظان بن ابي اليقظان	٢٩٤ هـ - ٩٠٦ م

[1] عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق، ص 241.

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم (رواية ورش)

أ-المصادر

1. ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تح : ابو الفداء عبد الله القاضي ،ج3 ، بيروت ،د،ن،ط2، 1998

2. ابن الصغير المالكي ، اخبار الائمة الرستميين ، تح: محمد ناصر و ابراهيم بحاز ، بيروت ، دار الغرب الاسلامي ،ط3، 1986

3. ابن الصغير المالكي ، سير الائمة الرستميين في تاهرت ، تح :موتيلينسكي ، باريس، د ط ،د.تا.

4. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)،العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبرج4،ج6، ج7، بيروت ، منشورات الدار الكتاب اللبناني ،د ،ط ،د، تا.

5. ابن عذارى المراكشي ،البيان المغرب في اخبار الاندلس و المغرب ، تح و مرا : ج. س. كولان ، إ.ليفي بروفنسال ،ج1، بيروت ،د. ن، د. تا .

6. ابو زكريا (يحي بن ابي بكر) ،سيرالائمة و اخبارهم ، تح :اسماعيل العربي ، الجزائر ، اصدارات المكتبة الوطنية ، د،ط، 1979

7. البغدادي (عبد القادر بن محمد ت 429ه) ، الفرق بين الفرق ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد لبنان ، المكتبة العصرية .د،ط 1995

8. البكري (ابو عبيد الله بن عبد العزيز) المسالك و الممالك ،تح :جمال طلبة ، بيروت (لبنان)، دار الكتب العلمية .ط 1،2003

9. البكري (ابو عبيد الله بن عبد العزيز) ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب ، بغداد ،العراق ،مكتبة المثنى ،د،ط، 1857

10. الحموي (شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي)،معجم البلدان ، مج2 ،بيروت ، دار صادر ،د، ط، د، تا.

11. الدرجيني (ابو العباس احمد بن سعيد)،طبقات كتاب المشايخ بالمغرب ،تح طلاي إبراهيم ، قسنطينة ،مطبعة البعث ،د،ط، 1974

12. الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ،تح،المنجي الكعبي ،تونس،د.ن،د.ط،

13. السلاوي أبو العباس خالد الناصر ،الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى ،تح،جعفر الناصري و محمد الناصري ،دار البيضاء ،دار الكتاب،د.ط،1961

14. الشهر ستاني محمد بن عبد الكريم ،الملل والنحل ،ج1،د.م،دار صادر ،د.ط،د.تا

15. القزويني زكريا محمد بن محمود،اثار البلدان وأخبار العباد ،بيروت،دار صادر ،د.ط،د.تا.-14

16. المسعودي ابو الحسن علي بن الحسن،مروج الذهب ومعادن الجوهر،بيروت،دار الأندلس

17. المقري ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ،تا،د،احسان عباس ،دار صادر بيروت ،1996.

18. اليعقوبي احمد بن يعقوب بن واضح ،كتاب البلدان،د.م،دار احياء التراث العربي ،ط1988،2.

ب- المراجع:

19. اسماعيل محمود ،الخوارج في المغرب الاسلامي ،ليبيا ، تونس ، الجزائر، المغرب الاقصى ،موريطانيا)، بيروت، دار العودة، دط،1976

20. اسماعيل محمود، الاغالبة (184ه-296ه) ، سياستهم الخارجية ،مكتبة وراقة الجامعة، ط 2،1978

21. الباروني (سليمان عبد الله) ، الازهار الرياضية في اخبار الائمة الاباضية ،ج2،د.م، د.ن، د.ط، د.تا

22. بحاز ابراهيم،الدولة الرستمية (160_296ه)دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية ،غرداية ،جمعية التراث القرارة،ط1993.

23. بورويبة رشيد و آخرون ، الجزائر في العهد الاسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني ، الجزائر ، وزارة الثقافة و السياحة ،دط،1984

24. جودت عبد الكريم يوسف ،الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجري والتاسع والعشر ميلادي ،الجزائر،د،1962

25. الجيلالي (عبد الرحمن) ، تاريخ الجزائر العام ،ج1، الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ط7، 1994

26. الحريري (عيسى محمد)، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب و الاندلس (160-296ه) ، الكويت ، دار القلم للنشر و التوزيع، ط5 ،1989.

27. دبوز(محمد علي)،تاريخ المغرب الكبير ،ج3، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلي ، ط 2،1963

28. سعد زغلول (عبد الحميد)،تاريخ المغرب العربي ، ج3 ،د، م، دار المعارف الاسكندرية ،د .ط ، د. تا .

29. السيد (عبد العزيز سالم) ،تاريخ المغرب الكبير ،دراسة تاريخية و عمرانية و أثرية ،ج2، بيروت ،دار النهضة العربية للطباعة و النشر ،د. ط ، 1981 .

30. السيد (عبد العزيز سالم)،بحوث اسلامية في تاريخ و الحضارة و الآثار ، القسم الثاني ، لبنان ، دار الغرب الاسلامي ،ط2، 1992.

31. شهاب (نهلة أحمد ، تاريخ المغرب العربي ، عمان ،دار الفكر، د. ط، 2010م

32. الميلي مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ج 1 ،ج2 تق :محمد الميلي ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1350ه

33. يوسف بن بكير الحاج سعيد ،تاريخ الإباضية في المغرب الإسلامي من القرن الثاني الى القرن السابع الهجري ،غرداية ،2016

فهرس المحتويات

إهداء

كلمة شكر

مقدمة:.....أ

الفصل الأول:المذهب الإباضي وقيام الدولة

المبحث الأول: تعريف المذهب الإباضي ونشأته وبعض عقائده. 7

أولا: تعريف المذهب الإباضي. 7

ثانيا: نشأة المذهب الإباضي وبعض عقائده. 9

المبحث الثاني: قيام الدولة الرستمية :..... 14

أولا :نسب الرستميين..... 16

تانيا: البيت الرستمي وصلته بالمغرب:..... 18

ثالثا:الموطن الجديد. 19

رابعا:مبايعة عبد الرحمان بن رستم بالإمامة وقيام الدولة:..... 29

الفصل الثاني: النظم السياسية والإدارية

المبحث الأول:النظم السياسية. 33

أولا : نظام الحكم 33

أ – المساواة و العدل:..... 35

ب–الحرية:..... 35

ج–المصلحة: 36

د–المسالمة و حسن الجوار: 37

ثانيا:الإمامة: 37

أ–لغة: 37

ب –اصطلاحا:..... 38

ج_ تعريف الإمامة عند الإباضية: 39
د- أنواع الإمامة: 40
أ-إمامة الظهور: 40
ب- إمامة الدفاع: 41
ج -إمامة الشراة: 41
د-إمامة الكتمان: 42
ه -الإمامة في الدولة الرستمية: 42
و-مجلس الشورى: 45
المبحث الثاني: النظم الإدارية 48
أولا-الوزارة: 48
ثانيا: الولاة: 50
أ-ولاية السمح بن أبي الخطاب: 51
ب -ولاية خلف بن السمح: 52
ج -ولاية أبو الحسن أيوب بن العباس النفوسي: 53
د- ولاية عبيدة عبد الحميد الجناوي: 53
ه -ولاية العباس بن أيوب: 55
و- ولاية أبي ذرابان 56
ي-ولاية أفلح بن العباس: 56
ر -ولاية أبي منصور إلياس: 57
المبحث الثالث: الأئمة الرستميون 58
إمامة عبد الرحمان بن رستم (160- 171هـ/776 – 787م): 58
ثانيا- إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان(168 -208ه-784-823م): 62
أ-خروج ابن فندين عن طاعة الإمام: 62
ب-ثورة الواصلية: 64

ج-عصيان زناتة: 64
د- ثورة بني مسالة: 65
ه - ذهاب الإمام عبد الوهاب إلى الحج 65
و - حصار طرابلس و عقد الصلح مع الأغالبة: 65
ثالثا-الإمامة أفلح بن عبد الوهاب (209-240هـ/ 826-854 م): 67
أ - فتنة خلف بن السمح: 68
ب -خلافة نفاث بن نصر نفوسي: 68
رابعا-إمامة أبي بكر بن أفلح(240-241/854م): 70
أ- مصاهرة الإمام أبي بكر لابن عرفة و ما نشأ عنها من فتن: 70
ب -رجوع أبي اليقظان من بغداد: 71
خامسا- إمامة أبي اليقظان بن أفلح(241 - 281هـ/855-894): 73
أ -حرب نفوسة لابن طولون: 73
سادسا-إمامة أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح(281-249ه/894-906م): 74
سابعا-الإمام يعقوب بن أفلح (282هـ / 894م): 75
ثامنا- عودة أبي حاتم إلى الإمامة: 76
تاسعا -إمامة اليقظان بن أبي اليقظان 76

الفصل الثالث :العلاقات الخارجية

المبحث الأول: العلاقات العدائية 79
أولا : علاقة الرستميين بالعباسيين 79
ثانيا: علاقة الرستميين بالأغالبة 83
ثالثا -علاقة الرستميين بالأدارسة : 90
المبحث الثاني:العلاقات الودية 94
أولا:علاقة الدولة الرستمية بولاة إفريقية : 94
ثانيا: علاقة الرستمين بالأمويين في الأندلس 95

رابعا: علاقة الدولة الرستمية بالسودان : 97
خامسا: علاقة الدولة الرستمية بمصر 97
سادسا –علاقة إباضية الشرق مع الرستميين : 98
خاتمة 103
قائمة المصادر و المراجع: 110
فهرس المحتويات 113